قافلة الزيت

جمادى الاولى ١٣٨٥
سبتمبر ١٩٦٥



بسم الله الرحمن الرحيم

القافلة تسير

في هذا العدد

الصفحة

اعرف قدر نفسك !

قال صاحبي : مررت بتجربة تذكرت معها القول المأثور «رحم الله امرءا عرف قدر نفسه» . فنحن في حالات كثيرة قد نتجاهل أقدار أنفسنا فنرفعها الى غير ما هي قمينة به أو ننزل بها عن مستواها اجحافا وتهاونا ، غير مدركين انا في كلتا الحالتين نسيء الى أنفسنا وربما أسأنا الى الغير . ذلك لأن علاقات الناس لا تنتظم الا ضمن الحدود التي رسمتها هذه الحكمة الكبيرة التي تفرض على الفرد أن يعرف قدر نفسه فلا يتجاوز هذا القدر صعودا أو نزولا .

ومعرفة الانسان قدر نفسه تتطلب منه ان يعرف نفسه أولا ، وأن يدرك اين يقف في سلم المجتمع ، فلا يحاول أن يكون اكبر من نفسه تظاهرا وادعاء ، لأنه ان فعل ذلك فقد ركب شططا وطالب الأيام بأن تمنحه غير ما هو في طاقته تجاهلا لما يتلاءم مع واقعه . ففي النفس ميل الى ذلك الشطط ، كما أن بها ميلا الى الجنوح الى الضد ، اي الى التغاضي عن جانب من (مكانتها) ان صح هذا التعبير .

اما ان يكبر الانسان نفسه فلا ضير في ذلك ، ولكن أن يلج به هذا الاكبار الى غاية لا تتيحها مقوماته فذلك هو الخطل . وما مثله الا مثل من يحاول أن يرتقي قمة جبل اشم على غير دراية وغير كفاءة لمجرد انه تخيل ان صعود الجبال لا عسر فيه ولا مشقة بدليل أنه قد حدث ويحدث امام ناظريه .

قلت لصاحبي ، لكأنك اذاً تنكر الطموح على المرء ! فاجاب : كلا ، اني لا استنكر ذلك . ولكن الطموح ذاته لا يعتبر فضيلة ان لم تتهيأ له وسائله الصحيحة . وانا أشدد على كلمة «الصحيحة» هذه لأنها تعني كل شيء في تحقيق غاية ذلك الطموح .

وقلت له : ومن ناحية اخرى ، فانت لا ترى في التواضع فضيلة ! فاجاب كلا ، بشرط أن لا ينزل المرء عن قدره . ان التواضع فضيلة اجتماعية حين يصدر عن المرء اختيارا وتعاطفا وبالقدر الذي لا يشين . أجل . ما أحوجنا الى التواضع تعاطفا ومحبة . ولكننا أحوج الى التزام القسط في كل ما نعمل وان لا تأخذنا العزة من ان ننشد العدل مع أنفسنا ومع الناس لكي يحفظ كل منا «قدر نفسه» .

سيف الدين عاشور

صورة الغلاف

انابيب ضخمة يتدفق منها الزيت الخام الى الرصيف الشمالي لفرضة رأس تنورة .

قافلة الزيت
العدد الخامس
المجلد الثالث عشر
تصدر شهريا عن : شركة الزيت العربية الأمريكية لموظفي الشركة - توزع مجانا
مديرها ورئيس تحريرها سيف الدين عاشور
المحرر المساعد فؤاد الزرتين
العنوان : صندوق رقم ١٣٨٩ ، الظهران ، المملكة العربية السعودية



مدينة «ابها» عاصمة عسير .. وتقع على ارتفاع ٧٣٠٠ قدم فوق سطح البحر .

عسير

بقلم الاستاذ عبد القدوس الانصاري

لعل أقدم مرجع عربي عني بعسير هو كتـاب «صفة جزيرة العرب» للهمداني .. ولكنه لم يذكر عسيرا على أنه اسم لمنطقة او اقليم كما هو موضوع بحثنا .. وانما اورده على انه اسم لقبائل عربية متساكنة ..

يقول : «ثم يواطن حزيمة من شأميها ، عسير : قبائل من عنز» . ويحدد لنا مواطن هذه القبائل فاذا بها لا تخرج عن مواطنها الحالية تقريبا فيقول : «فاوطان عسير الى رأس تية ، وهي عقبة من أشراف تهامة .. وهي أبها ، وبها قبر ذي القرنين فيما يقال .. عثر عليه على رأس ثلاثمائة من تاريخ الهجرة»(١) .

ويفيدنا فؤاد حمزة بأن عسيرا كاسم جغرافي ، هو اصطلاح حديث جدا ، يعود الى نحو ١٥٠ عاما خلت فقط . اما هو كاسم لقبيلة او لحلف قبائل فقديم جدا .. والاصل في الاصطلاح الجغرافي هو اطلاق اسم القبيلة على البلاد التي تسكنها فيقال : بلاد عسير ، ثم اهملت النسبة واشتهرت البلاد باسم (عسير) . وقال انها كانت في العهد العثماني متصرفية ، وقال ان قبائل عسير تعود الى اسلم على خلاف في ذلك .

ويعطينا الهمداني مواطن قبائل عسير فاذا بها عشر هي : «الدارة ، وأبها ، والحللة ، والفتيحا ، فحمرة ، وطبب ، فأتانة ، والمغوث ، فجرشة ، فالايداع» ويضيف الى ذلك قوله : «اوطان عسير من عنز ، وتسمى هذه الارض طودا»(٢) .

وتقع هذه المواطن العشرة على ضفاف اودية عشرة سماها لنا وهي : «الدارة ، والفتيحا ، واللصبة ، والملحة ، وطبب ، وأتانة ، وعبل ، والمغوث ، وجرشة ، والحدبة»(٣) .

وتدلنا اقامة القوم على ضفاف الأودية السيالة على انهم كانوا يبتغون من وراء ذلك تأمين «لقمة العيش» ، اذ على شواطىء هذه الوديان يمكنهم اقامــة مشروعات مزارع القمح والذرة والشعير والفواكه والبقول والخضراوات ، التي تقوم بغذائهم وكسائهم .

وعسير — القبائل والموطن — هما في سلسلة السراة التي هي الجبال والارض الحاجزة بين تهامة واليمن ، وتشرف على البحر الاحمر من المغرب وعلى نجد من المشرق(٤) وتحديد هذه المنطقة بالدقة كما يصفها رحالة مشاهد هو انها (تتألف من الجبال والاودية والسهوب الواقعة بين اعلى سراة الازد في الغرب ، وبلاد قحطان في الجنوب ، وبالأحمر وبالأسمر في الشمال) . وبعبارة اخرى هي البلاد الواقعة بين جبل تمنية وعقبة القرون ووادي دكان الممتد الى «الحقو» بالبحر ، من جهة الجنوب . وبلاد بني شعبة وربيعة باليمن ، ورجال ألمع ووادي حلي من جهة الغرب ، وعقبة شعار ووادي (تيّة) والسهب الممتد الى بلاد بالأحمر من الشمال ،

---

(١) صفحة جزيرة العرب ص١١٨ طبعة مصر ١٩٥٣م.

(٢) ص ١١٨ من نفس المصدر .

(٣) نفس المصدر والصفحة .

(٤) معجم البـلدان لياقوت الحمـوي ص ٢٠٤ و ٢٠٥ ج طبعة بيروت ١٣٧٦–١٩٥٧ م .



يرتدي أغلب السكان في (أبو عريش) قبعات مصنوعة من الخوص، لتقي رؤوسهم حرارة الشمس المحرقة التي تصل درجتها في بعض اشهر الصيف الى حوالي ١٠٥° فرنهايت .

وسلسلة الهضاب والسهوب المتصلة ببلاد شهران ، من الشرق . واذا قيست المسافات بالساعات للمشاة ، كانت المسافات من (شعار) في الشمال ، الى (تمنية) في الجنوب ، ثلاثا وعشرين ساعة بالمشي السريع .. والمسافة من الشرق الى الغرب ، تقرب من المسافة التي من الشمال الى الجنوب وهي بين أبها وبلاد شهران تبلغ (٣٥) كيلومترا . وعلى هذا الاعتبار تكون بلاد قبيلة عسير عبارة عن بقعة من الأراضي الجبلية يبلغ طولها ٥٠ كيلومترا وعرضها ٤٠ كيلومترا على وجه التقريب[٥] .

* * *

ومنابع أودية عسير العشرة هي من عقبات عسير الجبلية .. فلولا العقبات العالية ما تكونت الأودية الفياضة الى السهوب والسهول وتبلغ (٢٤) عقبة .. وهي ما بين رئيسية وفرعية . واتفق الهمداني وفؤاد حمزة في تعداد أودية عسير .. لقد عدّاها لنا عشرة أودية ، ومنها بعض ما ورد عن الهمداني اسمه ، ومنها ما هو مختلف عنه ، وهو الأكثر فيما اورده فؤاد حمزة .

يقول فؤاد حمزة : ان اودية عسير هي : وادي خبيبي ، ووادي حمرة ، ووادي الملاحة ، ووادي أثانة ، ووادي طبب (وقد اوردها الهمداني) ، ووادي جوجان ، ووادي ضلع ، ووادي مربة ، ووادي عتود . وقال : ان الحقيقة انهما واديان احدهما شرقي والآخر غربي ، وكلاهما ينبع من عقبة عتود والتي كانت مسكن الأسود في شبه جزيرة العرب[٦] .

وتبلغ قرى عسير اثنتين وثلاثين قرية بعد المائة .. وهي متصلة ببعضها بحيث يرى المسافر القرية تلو القرية طوال رحلته في ربوع عسير او في اغلب ربوع عسير .. وقدر عدد سكانها بمليون ونصف المليون ، ولربما كان هذا التقدير لا يخلو من مبالغة . والاحصاء الصحيح للسكان أمر ضروري ويجلوه التنفيذ الفعلي المنظم . واغلب السكان شافعيو المذهب وتوجد قلة منهم حنبليون سلفيون . والمرأة سافرة في القرى والبوادي .. عاملة مجدة .. ويستعملون في لباسهم جلود الحملان : (صغار الضأن) المدبوغة المخروزة ، وفي تهامة عسير تغطي النساء رؤوسهن بالطّفشة ، وهي قبعة من خوص . ونساء الحاضرة في جبال عسير يستعملن الخمار على رؤوسهن ، وتلبس الأبكار قبعة خوص مصنوعة من القماش .

والعسيريون يلبسون القمصان المجنّبة البيض ، ونساؤهم يلبسن هذه القمصان حمرا وسودا فقط . كما يرتدين العباءات الثمينة ويتحلين بالدمالج والخلاخل ، وبالخواتيم والعقود ، وبالأساور الذهبية والفضية[٧] . ومن ملابسهم : «النّسعة» وهي حبل من الجلد مضفور تستعمله النساء كالحزام .. ومن عجب أن هذه «النسعة» وبهذا

(٥) في بلاد عسير لفؤاد حمزة من ص ٨٨ الى ٩٠ .

(٦) المصدر نفسه ص ٩٥ .

(٧) تاريخ عسير للنعمي ص ٦٢ .

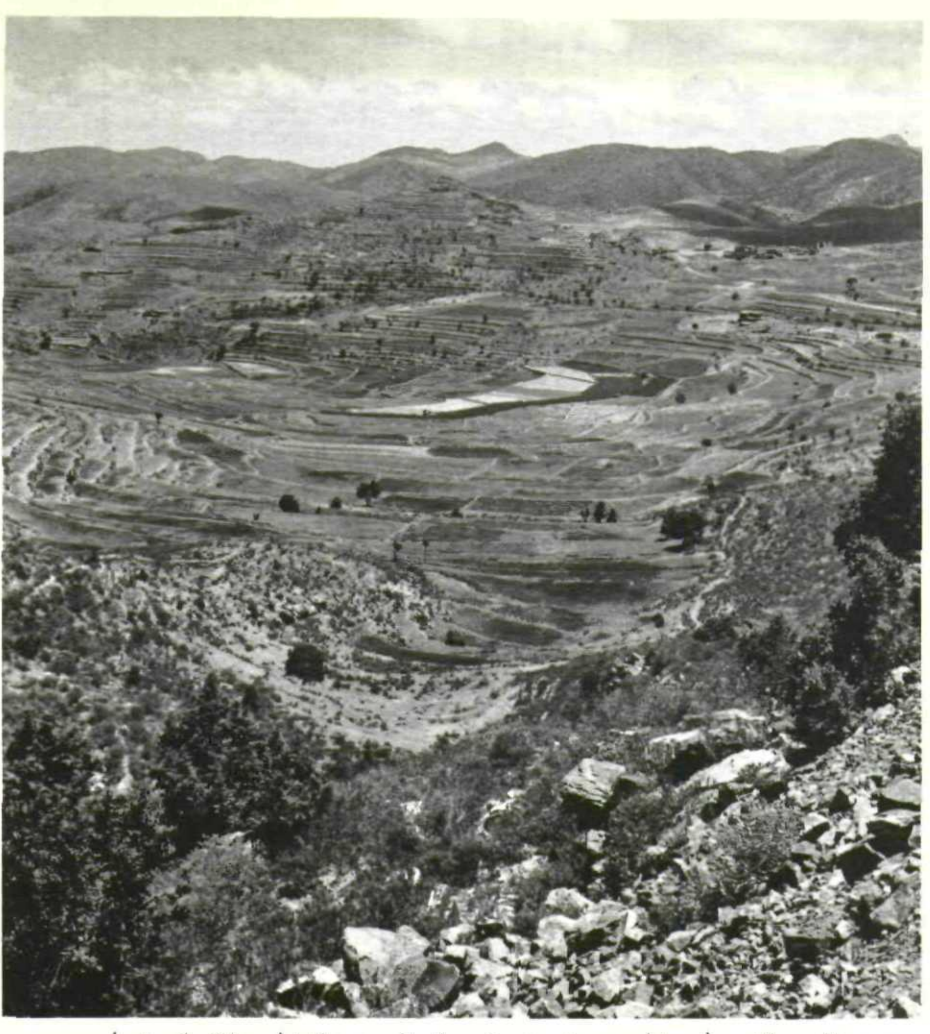
الاسم نفسه يستعملها رجال قبائل حرب واطفالهم في جنوب المدينة المنورة بينها وبين رابغ ، كما يستعملها رجال جنوب مكة من بعض القبائل كقبيلة هذيل ، حالما انها تستعمل في عسير للنساء فقط بنفس الاسم .. وتلبس ربيعة (الفوط) ويتقلد رجال عسير خناجر طويلة تسمى (جنبيّة) وأكبر خناجرهم ما يلبسه رجال ألمع . ومعظم نساء هذه القبيلة تخرق الآذان لتحليتها بالزمام . ومن ملابسهم كذلك «السّبتة» وهي حزام من جلد منقوش مخروز تنتطق به النساء فوق أثوابهن . و «المكفّة» قطعة جلد بشكل اكليل تضعها النساء فوق رؤوسهن ، و «اكليل» من الخسف والأعشاب البرية العطرة كالشيح ليمسك الشعر عن تلاعب الريح به . و «الشملة» عباءة من الصوف قصيرة جدا تطرح على الكتفين ، وهي لباس الاغنياء(٨) .

° ° °

اما وقد ذكرنا «الملابس» فبقي ان نذكر «المطاعم» . ان طعام العسيريين الرئيسي الوطني هو «البر» و «السمن» وكلاهما من انتاج بلادهم ، واللحم مقامه في الاعياد والمواسم والضيافات . والفاكهــة والخضراوات وجودهما كعدمهما . وهناك طعام العريكة اهم الاطعمة واعمها . ونوع آخر من الخبز يسوى على النار في الطابوق او في اناء ثم يصب عليه السمن والعسل ، اما اللحم السليق فيقطع اربا(٩) .

وفي عسير آثار مطمورة ، وآثار ذكرها لنا المؤرخون .. ومنها الكهف الذي يحوي اربعة اموات قدامى ، أحدهم رجل ضخم الجثة جدا . ويوجد هذا الكهف المجهول الأجداث في غار بالشرحة جبل شامخ ، يفصل بين تمنية وتهامة ، وفي قمتــه يقع الغار المسكون ، وقبر ذي القرنين الذي ذكرنا ان الهمداني قد ذكره بأبها . ومع ان فؤاد حمزة عــدّ هذا من باب التخريف الا ان عمر رفيع رد عليه وابدى ان ذا القرنين هذا الذي يقال ان قبره بأبها هو غير ذي القرنين الاسكندر المقدوني اليوناني .. انه عربي صميم من اهل هذه الدارة واسمه : الصعب والهميع بن عريب بن زيد بن كهلان (١٠) . ومن رأيي ان انقاض البناء التي اخذ رسمها عمر رفيع في كتابه ، هي انقاض لبناء مستجد في

(٨) في بلاد عسير لفؤاد حمزة ص ١٢٧ .
(٩) في بلاد عسير لفؤاد حمزة ص ١٢٧ و ١٢٨ .
(١٠) ص ٤٤ من كتاب في ربوع عسير لعمر رفيع .



يزرع القمح والشعير في حقول «مدرجة» على سفوح الجبال ومنحدراتها في منطقة «السودة» في عسير .

عهد الاسلام ولا يرتقي الى عصر ذي القرنين مطلقا وانما بني في عهد انتشار الاعتقادات الخرافية في عصور التأخر والجمود . وقد اقامه بعضهم من بعد ما شاع ان قبر ذي القرنين كان هنالك بدليل وجود مسجد بجوار الانقاض ، وبدليل هدم الضريح من عهد ليس بالبعيد ، وليس من المعقول ان يبقى بناء قبر ذي القرنين القديم على حاله الى يومنا هذا حتى يهدم . فليس في جزيرة العرب بناء قائم على حالته منذ ذلك العهد مطلقا سوى ما في مدائن صالح ولا بد أنه توجد آثار مطمورة او مجهولة في تلك المنطقة الخصبة المعروفة بالازدهار من قديم الازمان . والتنقيب العلمي الرزين الرصين كفيل باظهار الحقائق الكامنة .

° ° °

ولعسير ثروة زراعية وحيوانية . فمما يزرع بها ويجود ، أنواع الحبوب : كالدخن والذرة والقمح والشعير والقطن .

والزيتون البري منتشر هنالك ، وهو بحاجة الى التلقيح ايثمر ، وقد أخذت الجهات المختصة بسبيل ذلك ، ومن مشهور حبوبها حبّ الهميس الذي كان يجلب بكميات وافرة الى اسواق الطائف ومكة الى عهد قريب . ومن ثروتها الزراعية غابات العرعر . والعسل كثير بها . ولاشتغال اهلها بالزراعة كانت البادية الرّحل قلّة بينهم .

ومن ثروتها الحيوانية الماعز والأبقار والابل والحمير ، وقد شاهد عمر رفيع ابلا صاعدة في عقبة كؤود بكل مشقة ، وصاحبها يساعدها بدفعها على السير الى أعلى . وبعسير ، النمور وألوان الثعابين ، والطيور المغردة ، وكان بها الأسود في عقبة (عتود) .

° ° °

وفيها معادن ، كمعدن التبر بجبل (ضنكان) من اعمال القحمة (١١) . ويصفه الهمداني بأنه

(١١) تاريخ عسير ص ٦١ .

معدن غزير لا بأس بتبره . ومعدن جبل (تهلل) الذي يرتفع عن سطح البحر (٢٨٧٥) مترا ، ويقع الى الشمال من قرية السودة ، وهو معدن حديد . وكان صناع عسير يستخرجونه بطرقهم البدائية ، ليصنعوا من حديده أدواتهم المنزلية والزراعية وغيرها ، ولا تزال آثار مصانع بقرية السودة موجودة لليوم(١٢) . ويبعد جبل تهلل عن ابها ، عشرين كيلومترا ، الى الغرب منها ، وفيه ينابيع جارية في الصيف والشتاء . وارتفاعه احد عشر الف قدم(١٣) .

ولم يورد المرحوم الاستاذ رشدي ملحس هذا المعدن في كتيبه المركز «بحث المعادن» .. لقد كان تأليفه له وطبعه قبل ظهور كتاب «في بلاد عسير» لفؤاد حمزة ، وكتاب «في ربوع عسير» لعمر رفيع بنحو ربع قرن .. وهما اللذان قاما برحلتين هامتين الى بلاد عسير وجابا مدنها وقراها وجبالها وكتبا عنها معلومات أوسع مبنية على المشاهدات والمسموعات .

وفي عسير مناجم اخرى للحديد والرصاص والمركبات الكبريتية والنحاس . والملح الصخري يوجد في سفوح عسير الغربية . وفي فرسان على سواحله مكامن البترول ومعدن الاسمنت . وفي اطراف جازان ممالح صخرية ثمينة . وفي رفيدة معدن للحديد يستخرجه الأهلون بالفؤوس . وفي الصليف معدن الملح . ويوجد معدن للنحاس قرب سوق الاثنين . واكثر الجبل هناك يرى وهو يلمع صفرة ، وترابه اصفر براق(١٤) .

• • •

هذا وللعسيريين لهجة خاصة بهم ، في نبراتها وبعض تعابيرها . وفيهم طمطمانية وكشكشة وينطقون بأم بدلا من (أل) ، ولا ينطقون بالجيم . انهم يبدلونها بالياء . فيقولون «كيف حالش» بدلا من «كيف حالك» و «ايش بش» بدلا من «ايش بك» و «امكتاب» بدلا من «الكتاب» . والماعز في لهجتهم اسمه (زعابة) و (اريد) عندهم هي (ميدي) . ومن أناشيدهم البلدية :

يا عسير امهول ما هذي امقضية
ودنا نجران نهب له سريه

يريد : يا عسير الهول ما هذي القضية ....

ويقولون : (صليت في المسيد) اي في المسجد . ويقلبون (النون راء) «محمد بر يعقوب» اي «ابن يعقوب» ، «فاطمة ابرة سالم» اي «ابنة سالم» . ويقلبون الظاء والضاد لاما (فات اللهر) اي «الظهر» .

• • •

وزى ان تاريخ عسير ينقسم الى ثلاث صفحات : صفحة مجهولة الا من اخبار ، بعضها خرافي ان لم يكن جلها وهو ما كان في عهد الجاهلية . وصفحة معروفة معرفة غير مستوفاة من جميع النواحي ، وهذه الصفحة تتمثل في صدر الاسلام وما بعده .. فقد اسلم جماعة من العسيريين ودخلت عسير كلها في حظيرة الاسلام في زمن الرسالة ، وسار بعض رجالاتها في جيوش الفتوحات الاسلامية ، واهل عسير معروفون بالشجاعة ، وكان منهم العلماء والادباء والشعراء .. ونالهم اول الامر قسط من الاستقرار بعد ذهاب غيبة عصر الجاهلية والقبليّة الطائشة ، ثم دخلوا في فوضى النزارية واليمانية ، واستنفدت – اخيرا – طاقاتهم الحروب المتوالية الداخلية والخارجية ، واكلتهم الفتن ، في عهود الفوضى بدول الاسلام بعد انقضاء العصر الذهبي ، وتفشى الجهل فيهم ، وانضمت بلادهم الى الغزاة الفاتحين في شرق وفي غرب .. انضموا تارة الى الحجاز ، وتارة الى الاتراك ، وتارة الى غيرهم ، على ما هو مفصل في كتاب التاريخ .. وما حظوا بالاستقرار والاطمئنان والشخصية الا في عهد الحكومة العربية السعودية . فقد نظمت في عهدها شؤون الادارة ورتبت ، وارسلت الهيئات لتأمين مشروعات الاصلاح في ديارهم . وعبدت طرقهم الوعرة فتنفسوا الصعداء ، واصبحت السيارات تشق عقباتهم الكأداء العالية بعد ان كانت الحمير والجمال ترهق بصعودها وعبورها .

والآن عاصمة المنطقة هي (أبها) ، المدينة العروس الجميلة . وقد اتسع عمرانها ، وادخلت اليها وسائل المعرفة والتقدم ، شأن المدن والقرى الأخرى بالمنطقة .. كما انشىء مطار حديث في مدينة (خميس مشيط) مما سهل المواصلات برا وجوا الى ربوع عسير ، بعد ان كانت (شبه مغلقة) بسبب عسر طرقها ووعورة مسالكها .. مما دعا بعض الباحثين الى أن يقرن بين اسم (عسير) الذي يطلق عليها ، ومسماها من هذه الناحية .

(١٢) تاريخ عسير في الماضي والحاضر لهاشم بن سعيد النعمي ص ٦١ و ٦٢ مؤسسة الطباعة والصحافة والنشر .
(١٣) في بلاد عسير لفؤاد حمزة ص ١١٣ و ١١٤ .
(١٤) بحث المعادن من الصفحة ٧٧ الى ص ٨٠ .



منظر لسلسلة جبال «تهامة» ، التقط من منطقة «السودة» في عسير على ارتفاع ١٠٠٠٠ قدم فوق سطح البحر .

خِلٌّ مفارق

للشاعر منصور علي منصور ناصر

من لِجَفْنٍ كاد يُبليهِ الأرَقْ ... ولقلبٍ من سُدى الوهم أرَقْ
كلما جالتْ بهذا عبرةٌ ... غُصَّ بالشهقة هذا .. فخفَقْ
يغتدي يومي ثقيلاً موحشاً ... واجمَ الطلعةِ مغبرَّ الأُفُقْ
لا يزيد البينُ الا لوعةً ... وتباريحُ النوى غير الحُرقْ
لست أشكوه همومي .. فاذا ... جَنَّ ليلي عشت فيه بالرَّمَقْ
وذرفتُ الدمعَ .. في أحضَانِهِ ... فبكى لي رحمة ... حتى شَرِقْ

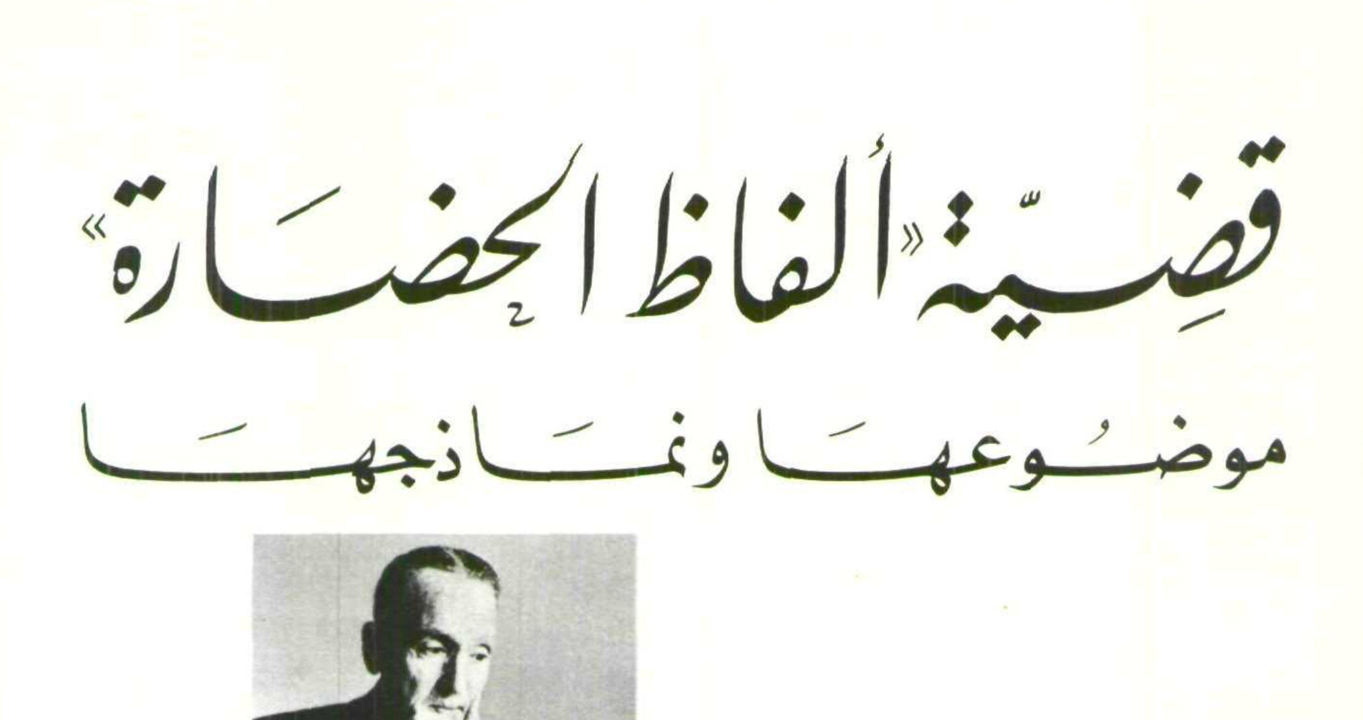
* * *

صاحِ .. لا لَوْمَ على مِثْلي اذا ... ضاق بالكِتْمَانِ ذَرْعاً ، فنَطَقْ
إنَّ في جنبيَّ همّا .. لم أطِقْ ... حَبْسَهُ بين ضلوعي .. فانطَلَقْ
ودعوتُ الشّعْرَ .. أستنجدُهُ ... فانبرى يُزْجِي يَراعي في الوَرَقْ

* * *

يا خليلي ، بك ما بي .. أوَلَمْ ... نَصْطَحِبْ سَبْعاً على هذي الطّرُقْ
سَرَقَتْ من عُمُرَينا حِقْبَةً ... هي أغلى ما لإنسانٍ سُرِقْ
وَرَشَفْنا العيشَ شهداً ، ولكَم ... همّ كَرْبٌ يَعْتَرينا .. فَفَرِقْ
أوَبَعْدَ الصَّفْوِ – لا تُنْكِرُهُ – ... تَعْقِدُ العزمَ على أن نَفْتَرِقْ
أينَ من زُهْرِ اللّيالي مَجْلِسٌ ... سَعْدُهُ يُطْلِعُ بالليل الفَلَقْ
أين آمالٌ بَنَيْنَاها .. وَمَنْ ... يَدْفَعُ الهَمَّ ، اذا همٌّ طَرَقْ
ذِكْرَياتٌ ، بالمنى حافِلَةٌ ... نُقِشَتْ في مُهْجَتَيْنَا ، والحَدَقْ
فَارْعَها ما شِئْتَ ، واحفَظْ عَهْدَها ... إنَّ حِفْظَ الوُدِّ عِنْدَ الحُرِّ حَقْ !

قضيّة «ألفاظ الحضارة»
موضوعها ونماذجها



بقلم الاستاذ محمود تيمور

حين انبعث الشرق انبعاثه الحديث – خلال القرن الماضي – كانت حياله ، في شتى فروع العلوم والآداب والفنون ومظاهر العمران ، حضارة انسانية جديدة بأدواتها وآلاتها ، وبمعقولاتها ، ومفاهيمها أيضا . وهذه الحضارة كما كانت جديدة طارئة على الأمة العربية مادة ومعنى بما فيها من أشكال واوضاع ، كانت جديدة كذلك على اللغة العربية أداء وتعبيرا بما لها من دلالات الأسماء والمواضعات .

ولا نغالي في تشبيه هذه الأسماء والمواضعات بأنها طوفان غامر ، لو أن السدود انفتحت له لكان حقيقا أن يطمس على لغتنا ، ولكن من جرائه ان تتنكر ألسنتنا ، وأن تكون العجمة والرطانة بيننا وسيلة البيان والتبيين ، ولكن اللغة العربية بفضل ما بذل الرعيل الأول من علمائها ومفكريها ولغوييها الذين واجهوا هذه الحضارة الطارئة – قد استطاعت بذلك ، وبفضل متانة أبنيتها ومرونة مادتها وطواعية أقيستها ، أن تتصدى لهذا الغزو اللغوي الزاحف مع الركب الحضاري الطارىء ، وأن تأبى التسليم به ، والاستسلام له ، فرأينا جهود المؤلفين والمترجمين والمعلمين تثمر أطيب ثمارها في «تعريب الحضارة» ، أعني جعل التعبير عنها والتفهم لها عربيا خالصا في الأغلب الأعم .

ولا يقدح في هذه الحقيقة الواضحة أن بعض الدراسات العليا في بعض مواد العلوم أو الفنون لا يزال منه جانب غير قليل تسيطر عليه اللغة الأجنبية ، فان في وسعنا القول دون تردد بأن اللغة العربية قد وسعت في يومها الراهن مدلولات حضارة العصر في أعلى مستوياتها العلمية والفنية باجمال ، فما يعوزها الآن أن تنطق بما يطلب اليها أن تنطق به من أسماء ومعان ، ومن حقائق ومفاهيم ، في مختلف المجالات ، وفي أرحب الآفاق .

وعلى أية حال فان المستقبل للفصحى ، في كل ما لم تستوعبه حتى اليوم من مصطلحات علمية أو فنية . واذا كانت مائة السنة الماضية قد كان لها هذا الأثر البعيد المدى في تفصيح الدخيل ، فان ذلك بشير صادق بأن مائة السنة الآتية ، أو ما دونها عددا ، مما يكفل للفصحى أن يتوافر ازدهارها ، وأن تتم لها السيطرة على ما يتعاصى عليها اليوم من مواضعات المعرفة الكونية في أدق المستويات .

على أنه ليس من شك في أن تطوير ألفاظ الحياة العامة ، أدق مسلكا وأعقد اشكالا من تطوير ألفاظ العلوم والفنون والآداب في مراتبها الدراسية المتنوعة ، ذلك بأن ألفاظ الحياة

العامة ملك للناس ، يتصرفون فيها أحرارا طلقاء في البيت والسوق . أما ألفاظ الثقافات الخاصة فانها تلقن تلقينا للطلاب في المعاهد ، وتلقى عليهم إلقاء من المنصات ، وتكتب لهم بأعيانها في ألوان التصانيف ، مفصلة الموضوع ، موضحة المدلول ، مفسرة المعنى ، ولا تلبث أن تصبح لغة الدراسة والتأليف العلمي ، ولغة التفاهم بين العلماء والمتعلمين .

وأغلب ألفاظ الحياة العامة لا يظل مقصورا في دائرة التخاطب على ألسنة الناس ، بل يضطر الكاتب الى استعماله حين يكتب في أدب أو اجتماع ... يضطر اليه المحرر الصحفي في كتاباته اليومية اذ يتناول الأحداث الجارية ، ويضطر اليه الأديب القصصي في وصفه للشخصيات وتصويره للمشاهد وتعبيره عن الحياة التي يعالج تمثيلها في قصصه ، ويضطر اليه الباحث الاجتماعي فيما يدرس من مشكلات البيئة وأوضاع الجماعات .

وقد أطلق على هذا النوع من ألفاظ الحياة العامة اسم «ألفاظ الحضارة» . تمييزا بين نوع كلمات الحياة العامة الشاملة الاستعمال في الجمهور الواسع وفي وسائل الاعلام المتعددة ، ونوع المصطلحات الأخرى التي هي خاصة بكل علم أو حرفة ومهنة ، مما يستعمله الفني في محيطه ، ويدخل في تفاصيل عمله . لا تكاد تلهج به الألسن . أو تجري به الأقلام .

وقد تجلت حيوية اللغة العربية وفراهتها فيما استقر فيها منذ مطلع هذا القرن من كلمات عصرية فصاح ، قامت مقام كلمات حضارية دخيلة شاعت بعض حين ، وهي من ذلك القبيل الذي ندعوه «ألفاظ الحياة العامة» أو «ألفاظ الحضارة» . وأذكر من أمثلتها كلمات :

الجريدة أو الصحيفة ، والسيارة ، والدراجة ، والمالية ، ودار الكتب ، والمستشفى ، والقطار ، والمدرس . فقد أدت هذه الكلمات مؤدى كلمات أجنبية كانت جارية ، هي : الغازتة أو الجرنال ، والأوتوموبيل ، والبسكليت ، والروزنامة ، والكتبخانة ، والاسبتالية ، والوابور ، والخوجة .

وفي ساحة اللعبة الرياضية ، لعبة كرة القدم ، مثلا ، جد اللاعبون ومن اليهم في تسمية ما يتصل بهذه اللعبة من ظواهرها وأدواتها بأسماء عربية . تغلبت الى شأو بعيد على مقابلاتها من الكلمات الأجنبية التي اقترنت بتلك اللعبة في طروئها على حياتنا الحديثة ، فكلمة «الفوت بول» فازت عليها «كرة القدم» ، وكلمة «التيم» صرعتها كلمة «الفرقة» أو «الفريق» . وكذلك كانت نتيجة المباراة بين منتخب «الهاف تايم» و «الجول» و «الباك» ، ومنتخب «الشوط» و «الهدف» و «الظهير» ، حتى لقد أصبح «الريفري» — «حكما» بلسان عربي مبين !

وما زالت اللغة تمضي مضيها في مقاومة الدخيل من الكلمات الحضارية ، كلما جد منها جديد . ومن الكلمات التي شاعت حديثا ، أذكر الأمثلة الآتية :

عارضة الزي	في مقابل **«مانيكان»**
الحقيبة	في مقابل **«الشنطة»**
القفاز	في مقابل **«الجوانتي»**
اللمسات	في مقابل **«الرتوش»**
اللافتة	في مقابل **«اليافطة»**
الجواز	في مقابل **«الباسبور»**
المظلات	في مقابل **«الباراشوت»**
الطائرة النفاثة	في مقابل **«الجت بلين»**
الطائرة الحوامة	في مقابل **«الهليكوبتر»**
المعسكر	في مقابل **«الكامب» الحربي**
المخيم	في مقابل **«الكامب» الرياضي**
المضيفة (في الطائرة)	في مقابل **«الهوستس»**
الفدائيون	في مقابل **«الكوماندوز»**
الشرطة	في مقابل **«البوليس»**
العيد	في مقابل **«اليوبيل»**
الحافلة	في مقابل **«الأوتوبيس»**
الهاتف	في مقابل **«التليفون»**
البريد	في مقابل **«البوستة»**
البرق	في مقابل **«التلغراف»**

ويوما قرأت في اعلان لشركة تصنع أجهزة المذياع هذه الفقرة :

«جهاز يعمل بدون هوائي ، وبدون وصلة أرضية ، وله سماعة دقيقة ، وجهاز لضبط النغم ، وله خمسة كباسات» .

فهذا الاعلان التجاري يستخدم كلمات «الهوائي» و «الوصلة» الأرضية و «السماعة» و «ضبط النغم» و «الكباسات» دون مقابلاتها الأجنبية أو العامية ، وتلك خمس كلمات فصاح من ألفاظ الحضارة احتوتها فقرة قصيرة من ذلك الاعلان الذي ينشر على ملأ الناس .

وربما جرى التساؤل حول هذه الألفاظ الحضارية في الحياة العامة : كيف يتم تطويرها ؟ ومن الذي يضع اللفظ العربي مقابل الدخيل منها ؟ وكثيرا ما تساءلنا : ماذا وضع الناس لهذا المسمى أو ذاك ؟ وماذا آثروا له من لفظ ؟

والحق أن الناس لا يجتمعون لوضع لفظ أو تسمية شيء ، بل الفرد من الناس هو الذي يضع ويسمي ، فاذا تسامع الناس بلفظ جديد ، وساغ في الذوق العام ، لم يلبث أن يصبح من لغة الناس . واذن فمن حق الأدباء والكتاب ، أو من واجبهم ، أن يبذلوا محاولاتهم كرة بعد كرة لاقتراح اللفظ المأنوس للمصطلح الحضاري ، باستحياء لفظ قديم ، أو بوضع لفظ جديد ، أو بترجمة اللفظ الأجنبي ، أو بتعريبه ان لم يكن من التعريب مناص . والأديب أو الكاتب حين يبذل محاولاته تلك ، لا يفتات على حق الناس ، ولكنه ينوب عن مجموعهم في امداد اللغة بما يسد حاجتها ويحفظ لها نقاءها وسلامتها .

واول ما يجب على الأديب أو الكاتب في استعمال الألفاظ الجديدة أن يؤثر الأشيع الأعم المشترك في بلاد العروبة ، فاذا كانت «الباحة» مستعملة في بعض البلاد ، وبجانبها «الميدان» و «الساحة» ، فمن الخير ان يترك «الباحة» مفضلا عليها أحد اللفظين الآخرين ، فهما أكثر شيوعا ، وأوفى اشتراكا . واذا كانت كلمة «خرْج الموسم» مستعملة في بلد عربي لمعنى «الموضة» فمن الخير أن يؤثر عليها «مبتكرات الموسم» أو «البدعة» لسرعة دلالة أحد اللفظين على المعنى المقصود بين الناطقين بالضاد .

وفي معتقدي أن من الخطر انفراد كل بلد عربي باقرار ألفاظ حضارية ، تعريبا أو ترجمة أو وضعا واشتقاقا ، فان الألفاظ العربية اذا اختلفت دلالاتها بعدد البلاد العربية كلها أو بعضها أصبحت اللغة العربية موحدة بألفاظها دون دلالات هذه الألفاظ ، فكأن العربية لغات شتى !

وكل عربي غيور على الفصحى ، عامل على اضعاف سلطان الدخيل ، هو مطالب بأن يتحرى في كتاباته ما ينشأ من ألفاظ عربية للمدلولات الحضارية ، متجنبا ما أمكن استعمال اللفظ الأجنبي ، ومتى تكرر على الأقلام استعمال اللفظ العربي استقر في الجمهور ، أو كما يقال في الأمثال : شاع وذاع ، وملأ الأسماع ، وعم البقاع ...

ومنذ سنوات ، عنيت بأن أعرض ما أزكيه من ألفاظ الحضارة الناشئة ، وأقدمه الى «مجمع اللغة العربية» في مؤتمراته التي تضم نخبة أهل الرأي والعلم والأدب في بلاد العروبة ، وأنا الآن أسرد قليلا من هذه الألفاظ ، وثيق الصلة

بحياتنا العامة ، رجاء أن تجد مساغا على أقلام الكرام الكاتبين :

الصوّان	في مقابل	**دولاب الملابس**
الخِوان	في مقابل	**بوفيه السفره**
الصِدار	في مقابل	**البول أوفر**
النّصْفِيّة	في مقابل	**الجونيلا**
الصّدْرِيّة	في مقابل	**الشميزت**
المنامة	في مقابل	**البيجامة**
الشبائك	في مقابل	**التريكو**
اللدائن	في مقابل	**البلاستيك**
قاعة الضيافة	في مقابل	**السلاملك**
الْمَثْلَجَة	في مقابل	**الفريزر**
سجِل الصّوَر	في مقابل	**الألبوم**
السَابكة السطرية	في مقابل	**اللينوتيب**
السابكة الحرفية	في مقابل	**المونوتيب**
الساعة التلقائية	في مقابل	**ساعة اوتوماتيك**
الميقاتة	في مقابل	**ساعة كرونومتر**
الاذاعة المرئية	في مقابل	**التليفزيون**
جهاز التسجيل	في مقابل	**الريكوردر**
اللاقط	في مقابل	**البيك أب**
المجهار	في مقابل	**الميكروفون**
الراصد	في مقابل	**الرادار**
التحويلة	في مقابل	**السويتش**
المرأب	في مقابل	**الورشة**
المنتدى	في مقابل	**الكازينو**
المقاطرة	في مقابل	**الشَشني أو الجشني**
شبكية المنوار	في مقابل	**رتينة الكلوب**
الرمز الحرفي	في مقابل	**الاينسيال**

وحقاً ان جهود اللغويين والباحثين وحملة الأقلام متواصلة لتطوير ألفاظ الحضارة التي تدور في الحياة العامة ، والتي يفتقر الى التعبير عن مدلولاتها الكاتبون فيما يكتبون ، وحقا ان الوعي العربي عامة ينزع الى الافصاح ، وينفر من العجمة والرطانة . ولكن من الحق ايضا أن الطريق الى بلوغ تلك الغاية المرجوة طويل ، وأن المدى متسع متشعب . فالألفاظ الحضارية يقصر عنها الاحصاء أو يكاد ، والدخيل فيها أو العامي منها كثير ... بيد أن هـذا لا يثني الهمم ، ولا يوهن العزائم . بل يزيدها قوة ومضاء . لأننا نؤمن الايمان الوثيق بأن لغتنا التي سايرت الفكر الانساني في أوجه الرفيع قرونا متطاولة ، لن تعجز عن أن تعبر عن حضارة الانسان في كل مكان وزمان ...



ما قلّ .. ودلّ

دخل ابن القرية على الحجاج وقال له : ما الكفر . فقال : البطر بالنعمـة واليأس من الرحمة . فقال : مـا الرضاء . فقال : القنوع بعطاء الله تعالى والصبر على المكاثرة . فقال : ما الصبر . فقال : كظم الغيظ والاحتمال لما لا يراد . فقال : ما الحلم . فقال : اظهار الرحمة عند القدرة والرضاء عند الغضب . فقال : ما الكرم . فقال : حفظ الصديق وقضاء الحقوق . فقال : ما الحمية . فقال : الوقوف على رأس من هو دونك . قال : ما العدل . قال : ترك المراد ، وصحة السيرة والاعتقاد . فقال : ما الانصاف . قال : المساواة عند الدعاوى بين الناس . فقال : ما الذل . قال : المرض عند خلو اليد والانكسار من قلة الرزق . فقال : ما الأمانة . قال : قضـاء الواجب . فقال : مـا الفهم . قال : التفكر وادراك الأشياء على حقائقها .

حق المؤمن على المؤمن

قال علي بن ابي طالب (كرم الله وجهه) : للمؤمن على أخيه المؤمن ثلاثون حقا لا براءة له منها الا بالأداء أو العفو . يغفر زلته . ويرحم عبرته . ويستر عورته ويقيل عثرته . ويقبل معذرته . ويرد غيبته . ويديم نصيحته . ويحفظ خلته . ويرعى ذمته . ويعود مرضته . ويشهد ميتته . ويجيب دعوته . ويقبل هديته . ويكافىء صلته . ويشكر نعمته . ويحسن نصرته . ويحفظ حرمته . ويقضي حاجته . ويقبل شفاعته . ولا يخيب مقصده . ويشمت عطسته . ويرشد ضالته . ويرد سلامه . ويطيّب كلامه ويبر انعامه . ويصدق أقسامه . وينظر ظالما يرده عن ظلمه ومظلوما باعانته على وفاء حقه . ويواليه ولا يعاديه . ولا يخذله ولا يشتمه . ويحب له من الخـير ما يحب لنفسه . ويكره له من الشر ما يكره لنفسه فلا يترك واحدا منها الا طالبه به يوم القيامة .

تطوّر وسَائِل الانقَاذ


القبطان «ستون» وزوجته يرتديان معطفين للانقاذ من صنعهما .


المخترع الألماني «كرنكل» لابسا حزام الانقاذ الذي قام باختراعه عام ١٨٢٥ . وهو عبارة عن صندوق مكسوة جوانبه بالفلين .

منذ أحقاب طوال والانسان ما انفك ، غير ملول ، يغالب الاخطار ويصارع الأحداث بهمة لا تفتر ، وبعزيمة لا تلين ، جادا جاهدا في البحث عن انجع الوسائل التي تحمله الى شاطىء الأمان . ولعل الغرق كان من ضمن الأخطار التي كانت تحيق بحياته منذ عرف البحار ، فحدت به الى سبر أغوار البحث لابتكار شتى وسائل الانقاذ ومختلف اساليب النجاة .

تشير المصادر التاريخية الى انه في منتصف العقد الخامس من القرن التاسع قبل الميلاد استخدمت وحدة فدائية من الجيش الأشوري التابع للملك «أشور ناصر بال الثاني» جلود الحيوانات كوسيلة للسباحة الهادئة عبرت بها أحد الانهار لمهاجمة العدو . وبعد ألفين وستمائة وسبعين عاما من هذا التاريخ ، قام موكب من السباحين بعبور نهر التايمز بقصد الدعاية لجهاز الانقاذ الذي اخترعه «دانيال» . وهذا الجهاز عبارة عن حزام جلدي لا ينفذ اليه الماء وهو قابل للانتفاخ ويلبس حول الخصر فضفاضا سائبا ثم يربط بأعلى الفخذين بسيور جلدية . ومن ميزات هذا الحزام أنه ينفخ بسرعة من خلال انبوب خاص ، ومزود ببوق للانذار بالخطر في حالة نفاد المؤن أو طلب المساعدة والنجدة .

غير ان احدى جمعيات الشحن الألمانية قد طورت هذه الفكرة فأدخلت عليها بعض التحسينات ، كتركيب صمامات للهواء ذات اتجاه واحد و «زنبرك» لولبي في الداخل يحفظ شكل الحزام . فلدى سحب الزنبرك يدخل الهواء فينفتح الحزام وهكذا .

كانت الرحـــلات البحرية القصيرة بالنسبة للمسافرين ، تعتبر مهمة غاية في الخطورة ومجازفة بالحياة . ففي عام ١٨٢٥ قام مخترع الماني من مدينة «ليبزغ» يدعى «كرنكل» باختراع صندوق ذي فتحة مناسبة في الوسط ومكسوة جوانبه بالفلين ليستخدمه المسافر بطريق البحر كحزام للنجاة في حالة تعرضه للغرق . كما اخترع القبطان البريطاني «ستون» حلة من المطاط مزودة بجيوب هوائية من الامام ومن الخلف ، وبعنفات شبيهة بزعانف السمك تلبس كقفازات في اليدين ، وبحذاء يمنع تسرب الماء الى القدمين . كما لم تخل الحلة من جيوب تحفظ فيها وسائل التسلية ليلهو بها الناجون ريثما تصل النجدة اليهم ، ولقد كان بامكان المسافر ان يبتاع هذه الحلة بمبلغ ٣٠٠ جنيه . لكن العيب الوحيد فيها هو أن ارتداءها يستغرق حوالي نصف الساعة ، وهو وقت طويل جدا بالنسبة لمعظم السفن الغارقة مما جعلها غير مجدية .

هنالك أجهزة عديـــدة للغرض نفسه اخذت تظهر الى الوجود في أواخر القرن الثامن عشر كوسيلة للانقاذ من بينها جهاز «جون بنتلي» الذي تم ابتكاره في عام ١٧٩٧ . وقد كان ذلك الجهاز عبارة عن حزام من النحاس الاحمر له فتحات ثلاث يعبأ من خلالها الهواء الذي يساعد الانسان على الطفو فوق سطح المـــاء . ويثبت هذا الجهـــاز حول الخصر بحزامين يمران فوق الكتفين . ويشتمل جهاز «بنتلي» ، بالاضافة الى الدثار ، على قفازات من الحرير وحذاء من الجلد مماثل لقدم الضفدع .

ثمة وسائل عديدة للانقاذ أخذت تظهر عقب جهاز «بنتلي» . ففي عام ١٨١٠ مثلا ، ابتكر «توماس كليجهورن» عوامة للانقاذ . وهي عبارة عن برميل تربط الى جوانبه أثقال تحفظ توازنه ويثبت الى فوهته صار . وطريقة استخدام هذه العوامة هي ان يجلس المسافر في وسط البرميل منفرج الساقين وممسكا بقاعدة الصاري ، وبذلك يظل طافيا على سطح الماء بانتظار النجدة .

وفي اوائل القرن التاسع عشر ظهر جهاز آخر وهو عبارة عن كرتين معدنيتين مملوءتين بالهواء تربطان في امكنة معينة من مؤخرة السفينة بحبال متينة . فاذا ما حاق بالسفينة خطر أو ألمت بها نازلة ، ألقيت هاتان الكرتان في البحر ليتشبث بالحبال من كتبت له النجاة .

هنا وقد قام شخص امريكي من مدينة نيويورك يدعى «هنري بيتسمان» بدراسة حوادث غرق السفن ووسائل الانقـــاذ المستخدمة في هذا السبيل محاولا بذلك التغلب على مثل هذه الأحداث وتفادي أقصى ما يمكن تفاديه من الأخطار الناجمة عنها .

وبعد جهـــد جهيد توصل «بيتسمان» الى اختراع «كبسولة» ذات غطاء محكم يجلس في داخلها الشخص المسافر . فاذا ما اصيبت السفينة



الملازم الانجليزي «بيتر هالكت» اثناء قيامه بأول عرض لقارب النجاة الذي صنعه من المطاط عام ١٨٤٦ ـ بينما كان الاسطول البريطاني راسيا في وسط مياه خليج «باسكاي» .

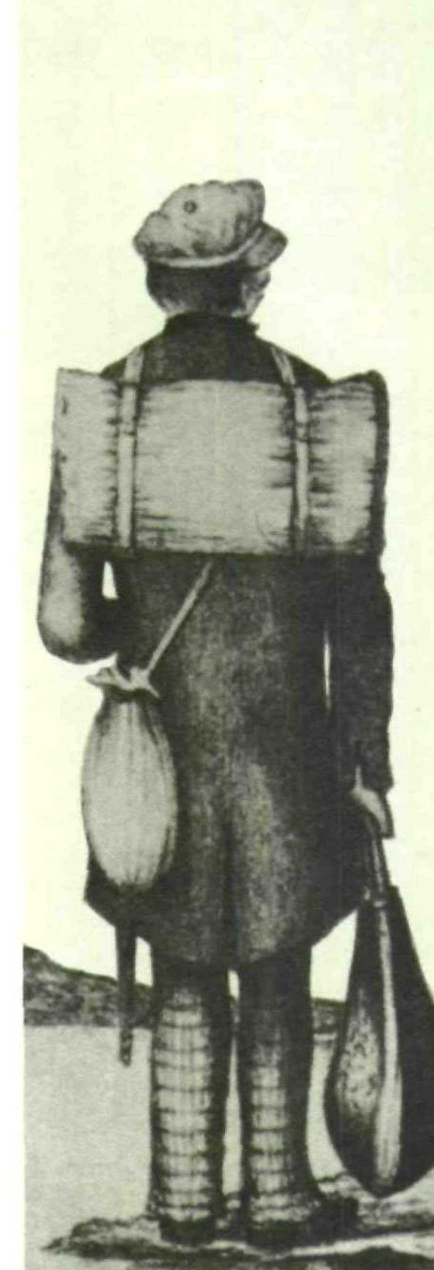
بحادث ما طفت هذه الكبسولة على سطح الماء وأصبح في الامكان انتشالها وبالتالي انقاذ الشخص الموجود في داخلها . لكن هذا المخترع الأمريكي ، لسوء الحظ ، قد لقي حتفه اثناء قيامه بتجربة اختراعه في نهر هدسن عام ١٨٣١ وذلك بعد أن تعذر فتح غطاء الكبسولة التي كان هو في داخلها .

لقد كان الاكتشاف الكبير الذي حققه كل من هانكوك البريطاني وجوديير الأمريكي ، الخاص بتقسية المطاط وزيادة مرونته بطريقة الكبرتة فاتحة عهد جديد لصنع زوارق للنجاة من المطاط القابل للنفخ .

وفي عام ١٨٢٢ قام كل من ماكنتوش وجوديير بصنع قارب للنجاة من قماش القلع المقوى بالمطاط ، وقد استخدم الضابط البحري الانجليزي السر جون فرانكلن هذا النوع من القوارب في حملته الاستكشافية التي قام بها بحثا عن الممر الشمالي الغربي المؤدي الى المحيط الهادي وانتهت الى فقده . غير ان القوارب التي استخدمت فيما بعد للبحث عنه قد ادخل عليها الملازم «بيتر هالكت» تحسينات مهمة . وفي عام ١٩٥٤ ، عثر على واحد منها فوق بيت الدكتور «رو» ، الطبيب المرافق لتلك الحملة الاستكشافية ، في جزيرة «اوركني» . وهذا القارب ما زال محفوظا حتى الآن في متحف «سترومنس» في انجلترا .

لقد حاول المهندس «هالكت» عبثا أن يقنع رجال الاسطول البريطاني بتبني استعمال قوارب المطاط . فقام في عام ١٨٤٦ بعرض لهذه القوارب بينما كان الاسطول راسيا في وسط مياه خليج «باسكاي» . بيد أن هذا النوع من القوارب الذي لم يحز اعجاب كبار المسؤولين لدى الاسطول البريطاني قد اثبت بعد مائة عام فعاليته واهميته حينما استخدم في انقاذ حياة زهاء ٢٣ ألفا من جنود الحلفاء ابان الحرب العالمية الثانية . وقارب «هالكت» هذا عبارة عن ثوب فضفاض يزن حوالي ثلاثة كيلوغرامات ، ومزود من الخلف بجيب كبير من قماش القلع المقوى بالمطاط ، ويمكن نفخه بكير أو منفاخ في مدة لا تزيد على نصف دقيقة .

إن أول معطف انقاذ من الفلين ظهر الى العالم هو ذلك المعطف الذي اخترعه العالم الفرنسي «دي جلاسي» في عام ١٧٥٧ . وبعد ٣٠ عاما من هذا التاريخ قام مخترع فرنسي آخر بتصميم معطف مماثل مصنوع من قطع



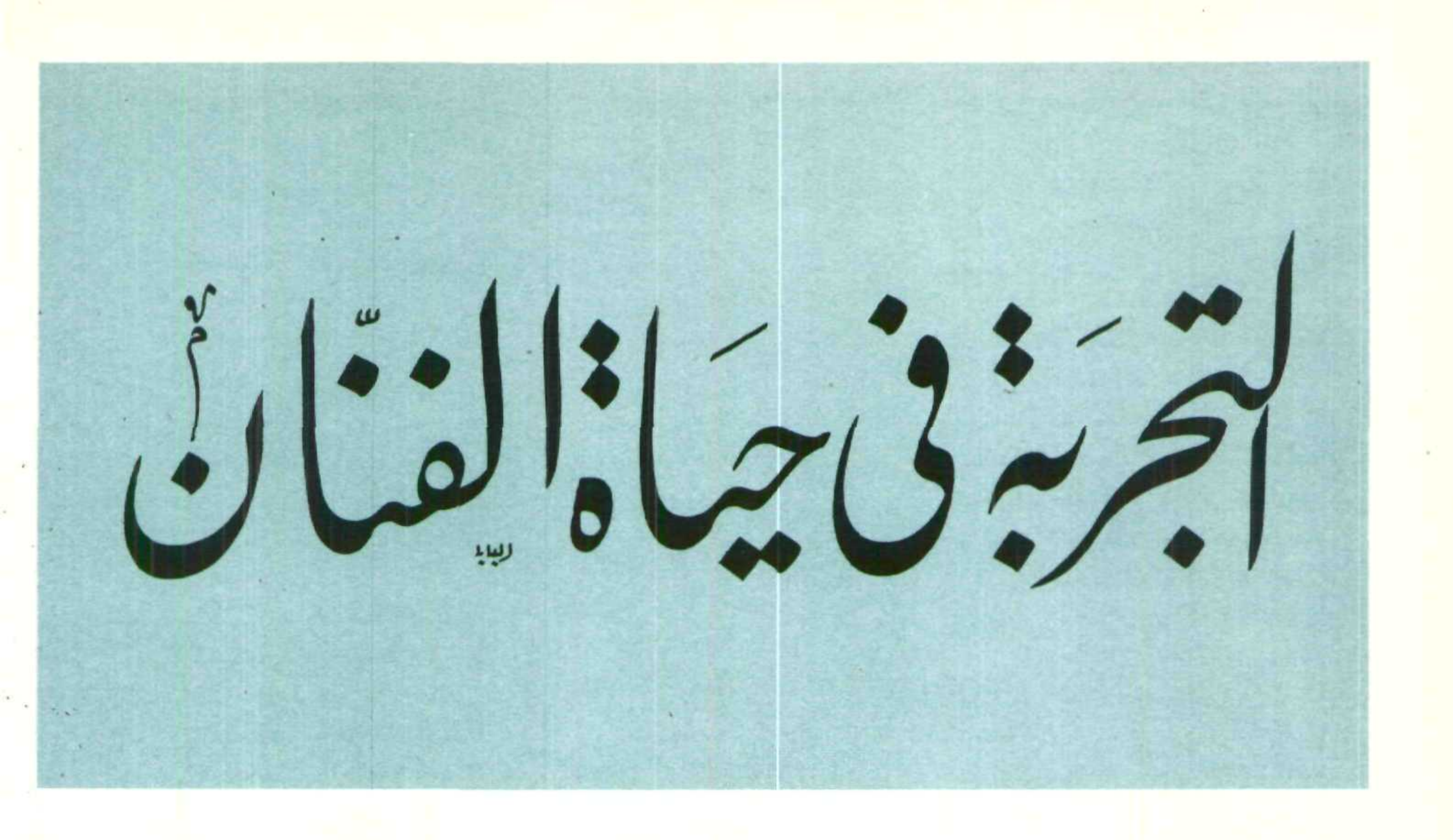
نموذج لمعاطف النجاة القديمة العهد التي كانت تعمل بالنفخ . ويرى في الصورة احد المكتشفين رابطا على ظهره معطف النجاة وحاملا في يديه منفاخين .

الفلين المستطيلة . وفي عام ١٨١١ قام «ماليسون» بتصميم معطف للانقاذ اطلق عليه اسم رفيق البحّار (Seaman's Friend) وهو عبارة عن ألواح مستطيلة من الفلين توصل معا بأشرطة خاصة . لكن هذا النوع من المعاطف ، لم يكتب له لسوء الحظ ، النجاح كسابقيه .

وفي عام ١٨٦٠ ظهر نوع آخر من احزمة النجاة ، ذو خصر فليني على يد القبطان البريطاني «وورد» وقد صمم هذا الحزام خصيصا لرجال مصلحة قوارب النجاة البريطانية ، استعملته فيما بعد الولايات المتحدة الأمريكية . ومن ميزات هذا الحزام أنه محكم للغاية وذو سيور من الفلين مثبتة الى اطار متين مصنوع من قماش القلع . وقد صدرت الاوامر الى رجال قوارب النجاة باستعمال هذا النوع من الأحزمة كلما نزلوا الى الماء . الا ان الكثير من هؤلاء لم يستحسن هذه الفكرة بل استصغر شأنها واعتبر استعمال هذه الاحزمة دليلا على الخوف والجبن . لكن بذل الكثير من الوقت في اقناع رجال البحر بفائده هذه الاحزمة ، جعلهم يقبلون على استعماله برغبة . أما العيب الوحيد ، أو بالأحرى الخطر الوحيد الناجم عن استخدام هذا النوع من الاحزمة الفلينية هو تعرض لابسه الى بعض الأذى لدى قفزه الى الماء . ومن عيوبه أيضا انه يضايق لابسه حول العنق وذلك بسبب خشونة قماشه . وفي عام ١٩٠٦ ظهر نوع من معاطف الانقاذ صنع من مادة «الكيبك» (Kapok) . وقد ظل هذا النوع في جمود تام مدة خمسين عاما لم يطرأ عليه خلالها أي تطور يذكر . بيد أنه في السنوات الأخيرة اعيد النظر في امر فعاليته وأخذت التجارب تترى لتحسينه . ففي عام ١٩٥٨ أسفرت التجارب الهولندية عن صلاحية هذا المعطف المصنوع من «الكيبك» بعد أن أوصت بضرورة وضعه في غلاف من «البلاستيك» حرصا على بقائه مدة أطول لا سيما لدى استعماله في المياه الممتزجة بالزيت .

هذا وان توفر المواد والطرق الفنية الحديثة اليوم قد جعلت من الممكن صنع انواع عديدة من معاطف الانقاذ التي تساعد على الطفو حتى اولئك الأفراد الذين يفقدون وعيهم في الماء أحيانا . كما أن هناك اتجاها يرمي الى استعمال معاطف النجاة المصنوعة من اللدائن ، والتي تعمل بمبدأ الهواء بصورة أوسع ، لكونها تساعد على الطفو أكثر من غيرها وتريح لابسها .

عن مجلة «ذي كومباس»



بقلم الاستاذ انور الجندي

لا ريب ان «حياة الفنان» هي المصدر الأوفى لعمله ، فهي البؤرة التي تنصقل فيها مفاهيمه ورؤاه وخبرته لتستوي بعد ذلك عملا سويا ناضجا جديرا بأن يبقى على مر الزمان .

واذا كان عمل الفنان تكونه ثلاثة عناصر أو اربعة ، فان «التجربة» هي العامل الجامع الذي يعطي هذه العوامل حظها من الحيوية والانطلاق .

فالفن : معرفة واحساس وتجربة .. واذا كان الكاتب او المفكر ينظر الى الامور من زاوية عقله ، فان الفنان يستوحي دائما «تجربته» المذخورة ، وهي التي تعطيه «الطابع» الذي يتميز به عن سواه في مجال العمل الواحد . والفن شعور وعاطفة واحساس مرتبط بالحياة ، وهو تعبير عن الحياة يستمد مقوماته من عصارة ما في كيان الفنان من تجربة .

ومن هنا كانت «التجربة» في حياة الفنان بالغة الاهمية والوزن في ابداع هذا العمل ، ومدى درجته في النجاح ، وقدرته على اسعاد الناس واضاءة الطريق امامهم الى المفاهيم الانسانية .

* * *

ذلك ان الفنان رائد وقائد ، لا يتاح له التبريز الا على اساس ايمانه بمقومات الصدق والسمو النفسي ، وتعمق الرسالة المنوطة به ازاء الاجيال .. ولقد يظهر عشرات من الفنانين ولكنهم لن يستطيعوا بلوغ مرحلة التبريز ، ما داموا لا يحملون في اعماقهم هذا المفهوم الواضح لرسالة الفنان .

والفنان اساسا «انسان» يعيش تجربة الناس ، لا ينعزل عنها ، ولكن براعته وعبقريته انما تمثل في تلك القدرة الواعية الذكية على التلقي والفهم والاستيعاب والتأثر لتجربة الحياة . فهو قادر على ان يتلقى الاحداث بقدر كبير من العمق ، يزيد من حيث الدرجة على مقدرة «الانسان» العادي ، ثم هو قادر على ان يعطي عطاء الطبيعة من خلال تجربته التي دارت في اعماقه ، وانصهرت في بوتقته ، ثم بدت خلقا جديدا ، فيه صورة الواقع ممتزجة بعظمة الفن ، وعمله دائما اكبر من الصورة العادية . وبقدر ما يستطيع الفنان ان يعطي ، تكون تجربته اكثر عمقا ، واحساسه اكثر قدرة على التلقي والعطاء .

* * *

والفنان الاصيل لا يؤمن بالوسائل المغرية ، ولا يؤمن بالاثارة ، ولا يعطي غذاء الغرائز . وليس هو بالواعظ ولا المنعزل ، وانما هو دائما ذلك «الرائد» الذي يعطي النفس الانسانية صورتها في سموها وعلوها ، ويستمد ذلك اساسا من نفس مشرقة صافية كالمرآة ، وتجربة صادقة عميقة الغور ، قوامها الصدق ونسيجها الخير والحق والجمال .

فالفنان يرفع الناس اليه ، فهو يقترب منهم ليعطيهم ما يرفعهم ويوسع آفاقهم ويحررهم من اهوائهم ، فهو مؤمن صادق الايمان بالقيم الانسانية اصلا ، محافظ على المقومات الاساسية لأمته ، وهو هاد ، يتخذ من حرية الفن وسيلته الى اعطاء الأمة الأثر الفني الخالد الذي يبقى وينفع .

وهو لا يستطيع ان يعطي الا من اعماق نفسه ، ومن خلال تجربته .. فتكوينه الثقافي والروحي هو مصدر قوته ، وهو لا يستطيع ان يعطي «العمل الرائع» الا اذا كان تكوينه ناضجا اصيلا . لا يغريه المال ، ولا تدفعه اللذة العاجلة . وقد كان الفنانون الاصلاء دوما وعلى مدى التاريخ فقراء أعزة النفوس ، عاشوا قيمهم ولم يقدموها رخيصة ، وعاشوا تجربتهم لا يغريهم بريق النضار . وكان اكبرهم قدرا على الابداع اكثرهم تواضعا ، ممتلئون ثقة بالنفس ، لا يحملون الحقد ولا الشر ، وقد أعطاهم صدق الشعور .. صدق الفن .

* * *

فاذا كان التكوين النفسي للفنان سليما ، كانت أمانته ، للانسانية والامة والقيم ، واضحة .. وفي هذا الصدق قول «رسكن» : «لا يمكن ان يكون جميلا الا ما كان حقا» .

واذا كانت كلمة «الفن» قد حملت معنى الحرية المطلقة او ارضاء الغرائز ، واذا جاءت بعض النظريات تحرر الفنان من كل تبعة ، ولا تجعله مسؤولا عن مجتمعه ، ولا مذعنا للاخلاق والقيم ، فقد حكمت الانسانية حكمها على تراث الفنان فلم

تعط الخلود الا للمؤمنين بمسؤوليتهم كرواد ازاء «النفس الانسانية» ، واعطائها دوافع الخير والحق والجمال . وكل الاعمال التي خلدت لشكسبير وتولستوي والمتنبي والجاحظ وجوته والمعري ومولير ، كانت تحمل في تضاعيفها عناصر الصدق والتجربة والايمان بالقيم .

* * *

واذا كانت التجربة عنصرا اساسيا في العمل الفني ، فان ذلك يعطيها اهميتها في حياة الفنان ذاته ، واذا كانت عبقرية الفنان تكونها عناصر المعرفة والاحساس والتجربة ، فان «التجربة» بالنسبة الى العوامل الأخرى انما تمثل ذلك اللون المتميز والطابع الذاتي .

فالحياة بالنسبة للفنان ثقافة وحركة ، ولم يعد هناك وجود للفنان الذي يعيش في البرج العاجي يقرأ تجارب الآخرين ، ويتأمل وينظر الى الناس من خلال نافذة زجاجية ، بل اصبح من الضروري لتحقق الصدق الفني ان يعيش الفنان في خضم الحياة وان يتصل بالناس ، وان يقارب تجارب الانسان ، سواء ما كان منها متصلا بحياته الخاصة من حب وزواج ورحلة وعمل وانتصارات وهزائم ، او ما يتصل بحياة الانسانية نفسها متمثلا في التطورات الاجتماعية التي يعيشها «الانسان» في مجتمعه ، وتضطرم بها نفسه .

وهنا تكون «التجربة» في حياة الفنان هي ابرز مظاهر فنه ، وفي هذا يصدق قول القائل «الفن ابتكار في اتساق ، غايته بلوغ الحياة حد الكمال ، واعطاء الانسان انسانية ، والارتفاع به فوق المادية ، ومنحه السعادة لا اللذة» . ولا شك ان الفنان لا يرسم الصورة ولكنه يبتدعها ، فهو يعطيها الروح ويرفعها فوق البساطة والسذاجة ، ويمنحها الجمال الذي يسمو بها عن الواقع ، دون ان يعزلها عنه . والفن شيء غير الصحافة والادب والتأريخ ، ولو ان الفنان اعطانا حادثه يومية او عملا من اعمالنا العادية دون ان يمنحها عصارة شعوره ، ورصيد تجربته ونكهة شخصيته ، لما كان ذلك العمل الا صورة صحفية ، ولكان علينا ان نكتفي بما هو وارد في صفحات التاريخ ، ومن هنا ايضاً يبرز الفارق بين عمل الفنان وبين عمل الفيلسوف او المؤرخ . فالتجربة الذاتية المستمدة من حياة الفنان هي التي اعطت العمل الفني معناه وروحه ، هذه التجربة قوامها قدرة الفنان على التغلغل في الاعماق ، وفهم الاسرار .. فهو لا يعطينا كل ما في الطبيعة او الحياة ، وانما يعطي اروع ما في الحياة ، وأجمل ما في الطبيعة ، ومن هنا كان الفن تفسير الحياة وليس تصويرها فحسب . ومن هنا كان ابرع الاعمال الفنية ، هي تصوير الفنان التجربة الذاتية ، باعتباره شاهد عيان امام محكمة الضمير الانساني – على حد تعبير رجال الفنون – ومن هنا برز فن «التراجم الذاتية» واتسع نطاقه ، ووجد تقديرا لا حد له . فحياة العبقري او النابغة هي اروع اعمال الفنان ، اذا كتبت عن حرية وصدق ، ذلك لانها تمثل عصارة «التجربة» التي تتميز عند كل انسان ممتاز بطابعها وظروفها وأحداثها عن تجربة غيره ، وقلما تتشابه تجربتان . ومن هنا يبدو مدى الثروة الضخمة التي يحرزها الفن نتيجة لكتابات التراجم الذاتية ما دام صاحبها مزودا بالصراحة والجرأة والصدق . وفي الادب الانساني تراجم ذاتية رائعة كتبها الغزالي وروسو وابن حزم واوسكار وايلد وعشرات غيرهم ، وكلها تعطي صورة التجربة الحية التي عاشها المفكر او العبقري . ولا شك ان اعظم أعمال الفنان هي كتابة حياته وتجربته .

ولا تقتصر «تجربة» الفنان على مجال الكتابة وحدها ، وانما تمتد الى مجالات الموسيقى والرسم والنحت .

وجملة القول ان «التجربة» في حياة الفنان هي «روح» العمل الفني كله ، فهي تعطيه طابعه وعمقه وملامحه الذاتية ، وتجعل الفن متميزا عن التاريخ والفلسفة والكتابات الأخرى .

للتسلية

المُربّع العَجيب

	١٠	

مربع كبير مقسم الى تسعة مربعات صغيرة . والمطلوب هو ملء هذه المربعات بأعداد لا يزيد أكبرها على العدد ١٠٠ بحيث يكون حاصل ضرب الاعداد الموجودة في كل ثلاثة مربعات في اي اتجاه يساوي ١٠٠٠ .

وحتى يسهل عليك حل هذه المسألة فقد قمنا بملء المربع المركزي بالعدد ١٠ .

ولمعرفة الحل الصحيح ارجع الى الصفحة ٣٠ .

طرائف

أنا أعجمي !!

اصابت أعجمي مصيبة فركب اليه محمد ابن عبد الملك الزيات فعزاه بأخبار وأمثال . ثم اصيب محمد بمصيبة فركب اليه الأعجمي وقال له : يا ابا جعفر ، انا رجل اعجمي لا ادري ما اقول لك . ولكن انظر ما عزيتني به ذاك اليوم فعز به نفسك الآن .

ابن حمامة

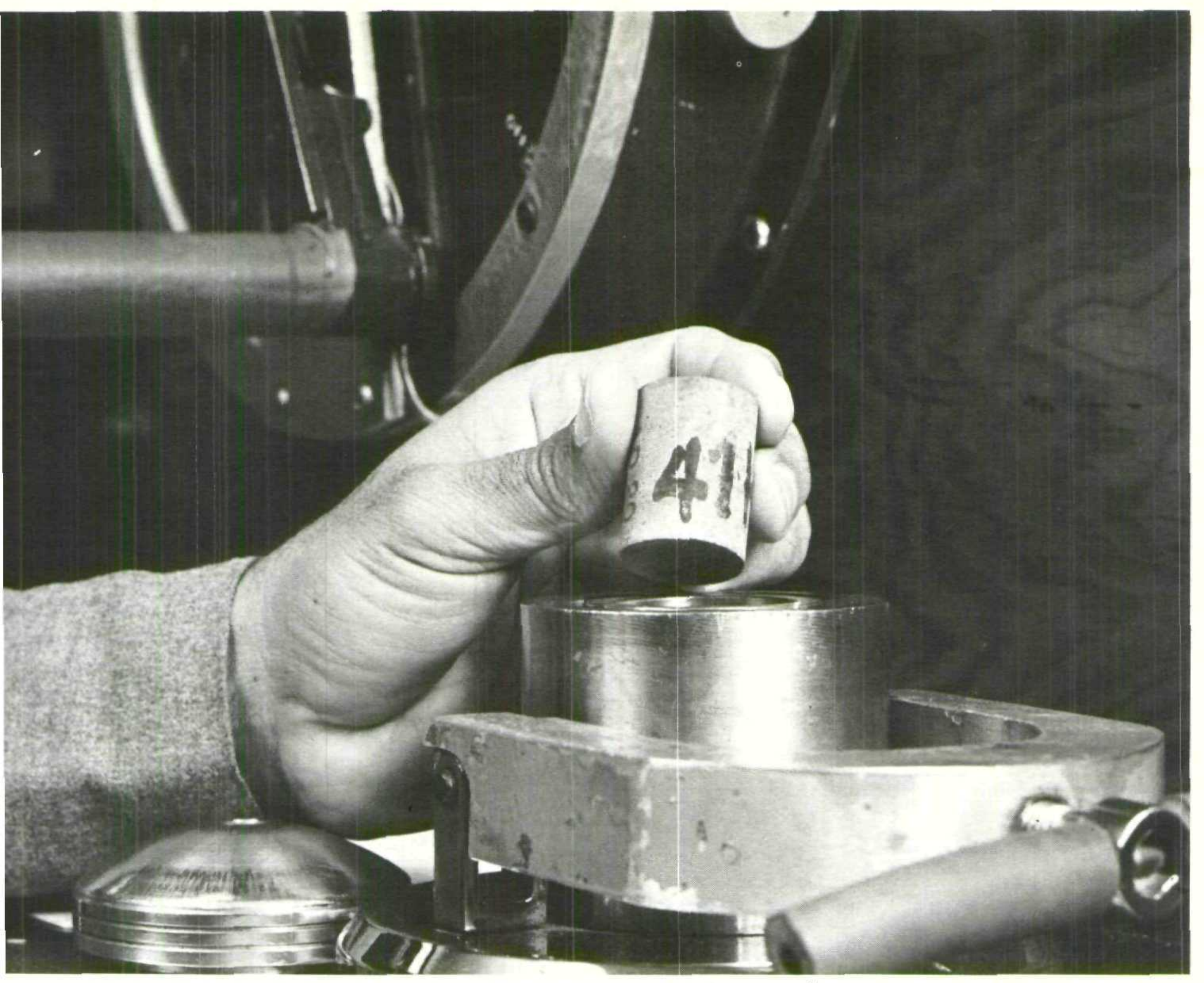
مر ابن حمامة بابن هرمة المشهور ببخله فقال : السلام عليكم . فقال : قد قلت ما لا ينكر . قال : خرجت من اهلي بغير زاد . قال : ما ضمنت لأهلك قراك . قال : افتأذن لي ان آتي ظل بيتك ؟ قال : دونك الجبل يفيء عليك . قال : انا ابن حمامة . قال : انصرف وكن ابن اي طائر شئت .

ضيف مقيم

اضاف رجل رجلا فأطال المقام حتى كرهه . فقال الرجل لامرأته : كيف لنا ان نعلم مقدار مقامه ؟ فقالت له : ألق بيننا شرا حتى نتحاكم اليه . ففعل . فقالت المرأة للضيف : بالذي يبارك في غدوك غدا اينا اظلم ؟ فقال : والذي يبارك لي في قيامي عندكم شهرا ما اعلم !

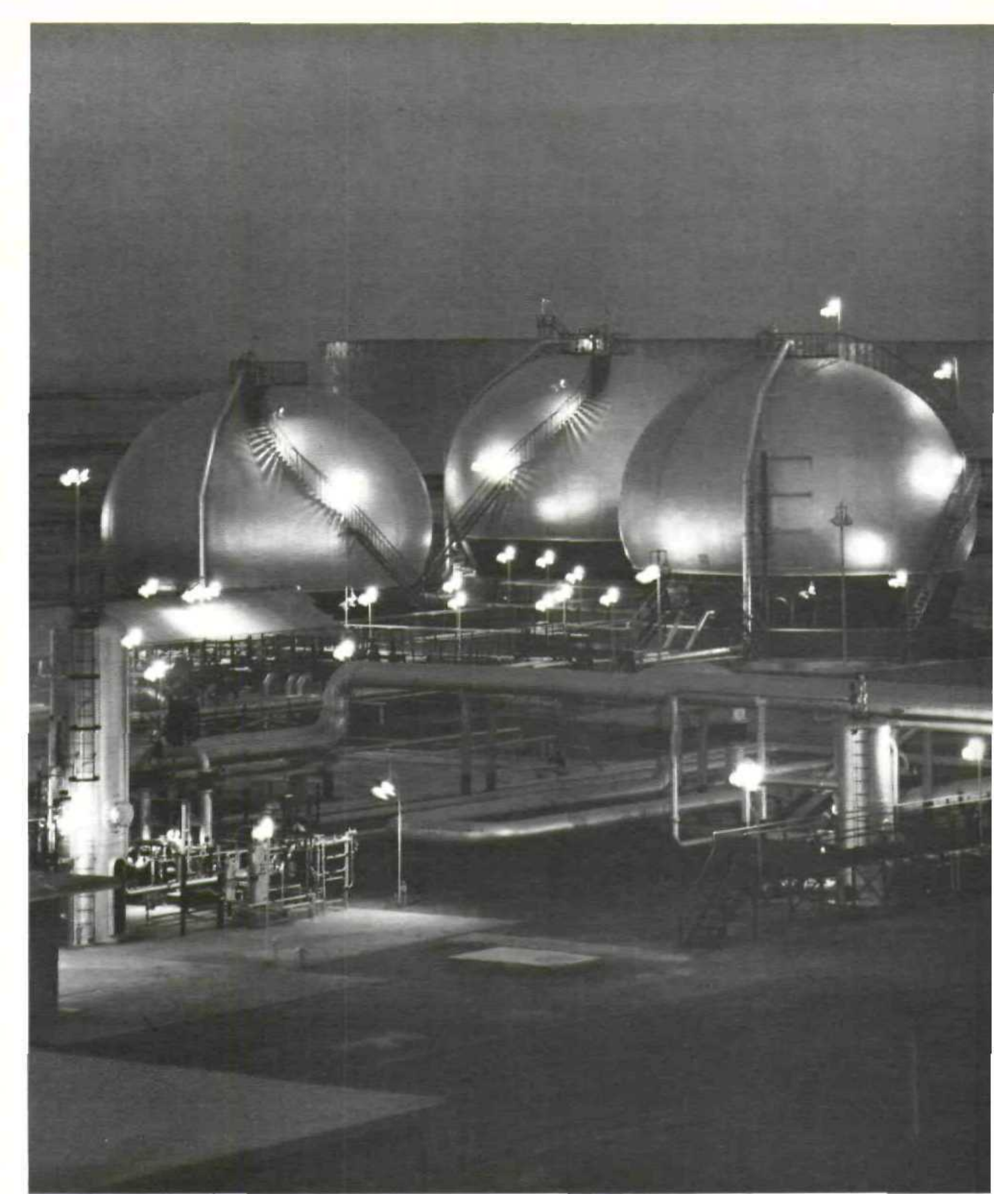
لو كان فيه !

حكي ان جحا قال ذات يوم لجاره : هل سمعت يا اخي ، البارحة صراخنا ؟ فقال له : نعم . وأي شيء نزل بكم ؟ قال له جحا : سقط ثوبي من اعلى السطح الى الارض . فقال له جاره : واذا سقط ، ما الذي يضيره ؟ قال جحا : يا احمق ، لو كنت فيه لتحطمت عظامي ومت .



احد الفنيين العرب السعوديين ، من مختبر أعمال الزيت في ارامكو ، يضع عينة من الصخور في قبو خاص محكم السد تمهيدا لقياس المسامية فيها .

مكامن الزيت في المملكة العربية السعودية



منظر ليلي لمعمل فرز الغاز من الزيت رقم — ١ في منطقة بقيق .

لعل المفهوم العام للفظة «مكمن» او بركة او خزان الخ. بالنسبة للشخص العادي ، هو الذي اوحى لفئة من الناس بالاعتقاد بأن الزيت موجود في برك او في بحيرات في باطن الارض .

والفرق بين خزانات الماء وبين مكامن الزيت شاسع جدا . فخزانات الماء مثلا ، يمكن رؤية معالمها بالعين المجردة بينما لم يستطع احد حتى الآن رؤية مكامن الزيت . بيد انه من الممكن رؤية عينات من هذه المكامن خلال ما تحمله مثاقب الحفر من لباب الصخور في اعماق الارض . ولدى فحص هذه العينات فحصا جيدا يغدو بالامكان معرفة الشيء الكثير عن معالم مكامن الزيت الحقيقية .

ان ما تنتجه ارامكو من حقول الزيت التسعة المنتشرة على مساحات شاسعة في الجزء الشرقي من المملكة العربية السعودية حتى الخليج العربي ، يقدر بنحو مليوني برميل يوميا . فهذه الكميات الهائلة من الزيت الخام تتسرب من خلال مسامات الصخور الرملية والجيرية الى قيعان الآبار ثم تتدفق الى سطح الأرض . والجدير بالذكر ان الزيت في المملكة العربية السعودية يندفع تلقائيا من مكمنه الى فوهة البئر بقوة ضغط الغاز دون الحاجة الى استخدام المضخات .

وتغطي هذه المكامن المنتشرة في حقول الزيت التسعة الآنفة الذكر مساحة تقدر بنحو ١٣٠٠ ميل مربع . اما عدد الآبار المنتجة للزيت التي تضمها هذه الحقول فتقرب من ٣٠٠ بئر .

والسيطرة على تحركات الزيت في المكامن ، أمر فيه تحد كبير لمهندسي مكامن الزيت بما فيهم مهندسو ارامكو . لأنه ينبغي على مهندسي البترول التحكم في كمية البترول المستخرجة من تلك المساحات الشاسعة في باطن الأرض من جهة ، والمحافظة على التوازن بينها وبين الطاقة الدافعة للزيت الى سطح الارض من جهة اخرى . كما ان عليهم ابتكار الوسائل الضرورية للمحافظة على مستوى الضغط في المناطق المنتجة ، واستخدام الطرق الاقتصادية والاساليب الفعالة لانتاج اقصى كميات ممكنة من الزيت الخام . هذا ويجب على مهندسي مكامن الزيت ايضا ان يكونوا متضلعين وذوي اطلاع واسع في علم طبقات الارض (الجيولوجيا) .

يرجع عهد صناعة البترول الى منتصف القرن التاسع عشر او على وجه ادق الى اغسطس عام ١٨٥٩ ، وذلك عندما نجح الكولونيل «دريك» في حفر اولى بئر للزيت على عمق ٦٩,٥ قدما في مدينة «تيتوزفيل» بولاية بنسلفانيا .

كان العمل خلال النصف الاول من عمر هذه الصناعة يعتمد كل الاعتماد على رجال الحفر ، كما كانت طاقة الانتاج آنذاك شحيحة . غير ان رواد الزيت الواسعي الاطلاع بدأوا يستقصون الاسباب المؤدية الى هذا الانخفاض الملحوظ في الزيت فحاولوا استخراج الزيت من باطن الأرض بواسطة مضخات خاصة . الا ان محاولتهم هذه باءت بالفشل . ثم لجأوا بعـد ذلك الى عملية حقن الغـاز والهواء في الآبـار المتصلة بالمكامن المنتجة للزيت .

ففي العهود الأولى ، عندما كان الزيت يتوقف عن التدفق ، كان رجال الزيت يظنون ان آباره قد نضبت ومصادره قد جفت ، اذ لم تكن لديهم فكرة آنذاك عن مقدار الزيت المتخلف في المكامن . ولاستخراج هذه الكميات المتخلفة من الزيت كان عليهم ان يعرفوا الشيء الكثير عن تحركات الزيت في مسامات الصخور في اعماق الآبار المنتجة . ومن هنا نشأ علم هندسة مكامن الزيت الذي اخذ يتطور تدريجيا في العقد الثالث من القرن الحالي حتى غدا بعد الحرب العالمية الثانية علما مستقلا بذاته تستخدم فيه احدث الاجهزة والحاسبات الالكترونية .

ان هدف مهندسي مكامن الزيت الرئيسي هو جعل انتاج الزيت يقوم على اساس علمي ، معتمدين في ذلك على نظريات المهندسين الجيولوجيين فيما يختص بتكون الزيت ، وعلى معلوماتهم عن طبقات الأرض التي يكمن فيها .

ومن الامور الاساسية التي تهم رجال الزيت معرفة تحركات المركبات الايدروكربونية في باطن الأرض وتقدير ما اذا كانت متوفرة بكميات تجارية . ولذلك فانه من المعقول جدا ان يقوم مهندسو مكامن الزيت بدراسة شاملة لمثل تلك الظروف والاحوال التي من شأنها جعل تحركات الزيت والغاز في المكامن امرا ممكنا .

عندما تكون مسامات الصخور في المكامن متصلة ببعضها البعض ، فان المواد الايدروكربونية تستطيع ، بفعل الضغط ، التنقل خلال هذه المسامات ، وهذا ما يدعو الى القول بأن للصخور صفة تسمى «النفاذية» . اما بالنسبة لتحرك الزيت في المسامات نفسها ، فذلك يعتمد بالطبع ، على مدى ترتيب هذه المسامات وتنظيمها . فالمسامية والنفاذية صفتان

مهمتان تعتمدان على مقدار حجم ذرات الصخور وشكلها ، وعلى كميات الطفال وغيرها من المواد التي تساعد على تماسك ذرات الرمال . فهذه العوامل التي تحدد حجم المسامات بين حبيبات الرمال هي دائما مثار اهتمام رجال الزيت ومحور ابحاثهم .

لما كان الزيت يحتاج الى قوة تدفعه خلال الأنبوب ، كان لا بد له من عامل يسهل جريانه خلال الصخور ذات النفاذية . وللزيت صفة طبيعية فعالة تؤثر في قدرته على الجريان ، الا وهي اللزوجة .

وللوقوف على تحركات الزيت في مكامنه ، فان لدى ارامكو طرقا مختبرية يتم بواسطتها فحص عينات الصخور الجوفية وذلك لمعرفة خاصتي المسامية والنفاذية فيها .

ومن المعروف ان الزيت في المملكة العربية السعودية يتدفق تلقائيا من الاحواض الى سطح الأرض دون الحاجة الى استخدام المضخات . والسبب في ذلك هو وجود الضغط العالي للغازات المرافقة للزيت في المكامن . لكن هذا الضغط القوي الناشيء عن هذه الغازات ليس ابديا ، فلدى استخراج الزيت تخرج معه الغازات وبذلك يقل الضغط في المكامن تدريجيا .

ولمواجهة هذه المشكلة قام رجال الزيت في ارامكو بدراسات دقيقة لمصادر الطاقة في مكامن الزيت باحثين عن افضل الاساليب الفعالة والاقتصادية التي يمكن تطبيقها للمحافظة على هذا الضغط ، وعلى معدل الانتاج في الوقت نفسه ، وقد توصل هؤلاء المهندسون الى طريقة حقن الماء او الغاز في مكامن الزيت من خلال آبار تحفر لهذا الغرض .

ولما كان الزيت اثقل من الغاز وأخف من الماء وزنا ، فانه يوجد دائما محصورا بينهما في اعماق الصخور . ولما كان الماء والغاز يستطيعان التنقل خلال الفراغات الجوفية لمسامات الصخور بسهولة اكثر من الزيت ويصلان الى فوهة البئر بصورة اسرع ، فقد اتخذت تدابير معينة تساعد على سير الانتاج في صورة منتظمة وضمن الغاية المرجوة . وندرك مما سلف ، ان الماء والغازات الذائبة في الزيت تشكلان مصدرا كبيرا للطاقة الدافقة للزيت من مكامنه الى سطح الارض .

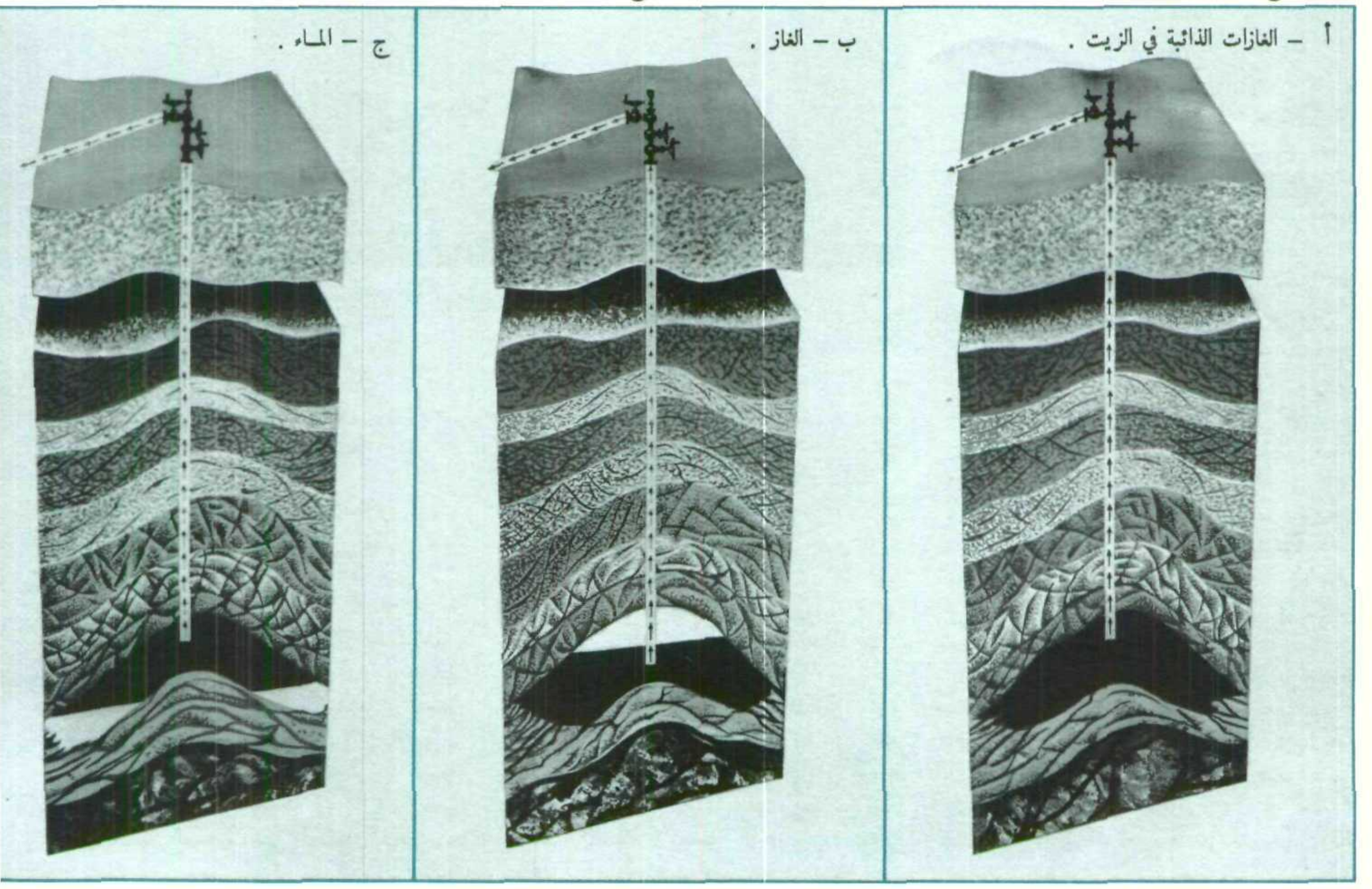
لقد ظل رجال الزيت لمدد طويل ، يعتمدون اعتمادا كليا على الطاقة الطبيعية في استخراج الزيت من باطن الارض ، الى ان اكتشفوا طرقا حديثة للمحافظة على الضغط في مكامنه . وقد استطاعت هذه الطرق ان تعطي نتائج لا تقل فعالية عن تلك التي كانت تعطيها عوامل الدفع الطبيعية (الماء والغاز).

ومن بين هذه الطرق العلمية طريقة حقن الغاز أو الماء في المكامن . وقد استخدم رجال الزيت السابقون هذه الطريقة في اعادة الحياة الانتاجية الى المكامن ، لكنها لسوء الحظ لم تجد نفعا لان استخدامها جاء بعد فوات الأوان ، اي بعد نضوب الآبار ونفاد الزيت منها . غير ان مهندسي البترول الذين جاءوا فيما بعد بدأوا يطبقون طريقة حقن الماء او الغاز في المكامن في عهدها الأول ، اي قبل نضوبها ، وذلك حفظا لقوى الدفع الطبيعية قبل ضياعها سدى وذهابها عبثا دون جدوى .

منذ بضع سنوات وأرامكو ما زالت تحرص على حفظ الضغط في مكامن الزيت في حقل بقيق وفي منطقة عين دار — التي تشكل الامتداد الشمالي من حقل الغوار الكبير — عن طريق حقن الماء والغاز .

اما بالنسبة للغاز الذي يحقن في الآبار ، فهو ذلك الغاز الذي يجري فرزه من الزيت في منشآت يطلق عليها اسم «معامل فرز الغاز من الزيت» . ففي منطقة عين دار مثلا ، يجمع الغاز المستخرج من معامل الفرز ثم يضغط على عدة مراحل ، بمعدل اقصاه ٢١٠٠ رطل للبوصة المربعة الواحدة ، في معمل ضخم بلغت تكاليف انشائه ١٣٥ مليون ريال سعودي (٣٠ مليون دولار) . وقد صمم هذا المعمل على اساس ضغط ما معدله ١٦٠ مليون قدم مكعب من الغاز في اليوم . ونتيجة لذلك

هذه النماذج الثلاثة تبين تشكيلات طبقات الأرض وكيفية تدفق الزيت من المكامن الى سطح الأرض بفعل الضغط العالي الناشيء عن :



فان معدل انتاج الزيت في المكامن يبقى ثابتا او يزداد حسب الحاجة ، كما ان تدفق البترول من الآبار يستمر زمنا اطول .

وعلى الرغم من تطبيق احدث الاساليب العلمية في المحافظة على معدل انتاج الزيت في المكامن (كحقن الغاز والماء مثلا) الا ان رجال الزيت لم يبلغوا بعد الهدف الاعلى للانتاج . ومع ذلك فان صناعة الزيت ما زالت تواصل تجاربها على احدث الاساليب الفنية الخاصة بدفع الزيت الكامن في مسامات الصخور الى سطح الارض .

هذا وتستطيع ارامكو ، بفضل الدراسات والابحاث الدقيقة التي تجريها على مكامن الزيت ، ان تحدد بالتقريب كميات الزيت الموجودة في حقولها . كما تستطيع الشركة ايضا من خلال هذه الدراسات والابحاث بالاضافة الى الاكتشافات التي توصلت اليها في حقل الانتاج ان تقول بأن مجموع الاحتياطي الثابت وجوده من البترول آخذ بالازدياد . فقبل ثلاث سنوات مثلا ، كان احتياطي ارامكو من البترول ٤٥ بليون برميل . اما الآن فيقدر اجمالي الاحتياطي الثابت وجوده من البترول بنحو ٥٩,٢ بليون برميل .

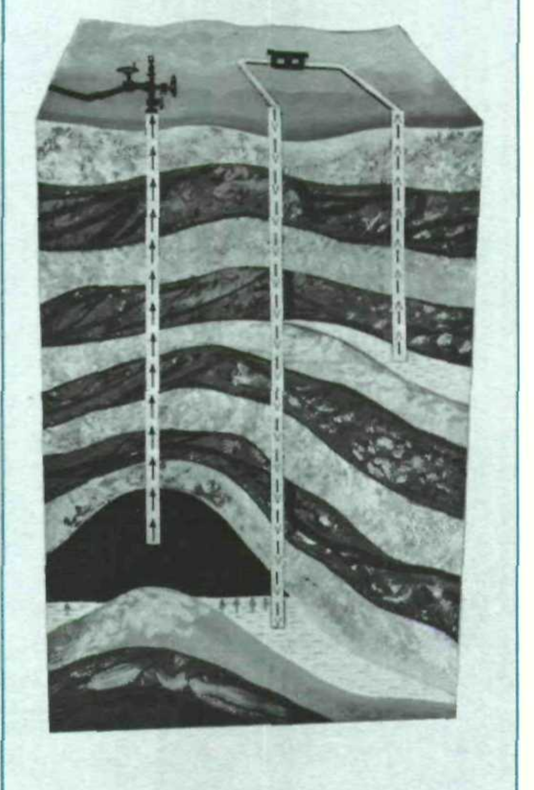
وفي كل عام ، تقوم فرق مدربة من الموظفين العرب السعوديين التابعين لوحدة فحص قيعان آبار الزيت في منطقة بقيق بقياس الضغط ودرجة الحرارة في مكامن الزيت على فترات معينة مستخدمين في ذلك اجهزة دقيقة حساسة . كما تقوم هذه الفرق في الوقت نفسه بفحص عدد من آبار المراقبة دون الحاجة الى وقف الانتاج . فكل هذه المعلومات التفصيلية المزودة بالرسوم البيانية والتي تجمعها هذه الفرق ، تعطي معلومات تمهيدية واضحة عن سير العمل في مكامن الزيت .

ان تطوير حقول الزيت وتوسيعها امر يتطلب نفقات باهظة . ويقول الاخصائيون ان حفر بئر واحدة في المملكة العربية السعودية يكلف حوالي ١٣٥٠٠٠٠ ريال سعودي (٣٠٠٠٠٠ دولار) على اقل تقدير . بينما قد تصل تكاليف بئر واحدة تحفرها ارامكو في المياه المغمورة من الخليج العربي بما في ذلك المنصة الى حوالي ٢٢٥٠٠٠٠ ريال سعودي (٥٠٠٠٠٠ دولار) ، اما بالنسبة لخطوط انابيب الزيت والمرافق الاخرى الضرورية لمعالجة الزيت وتسييره ، فان التكاليف الاجمالية لانشائها تفوق تكاليف الحفر الآنفة الذكر بعشرات بل مئات المرات .

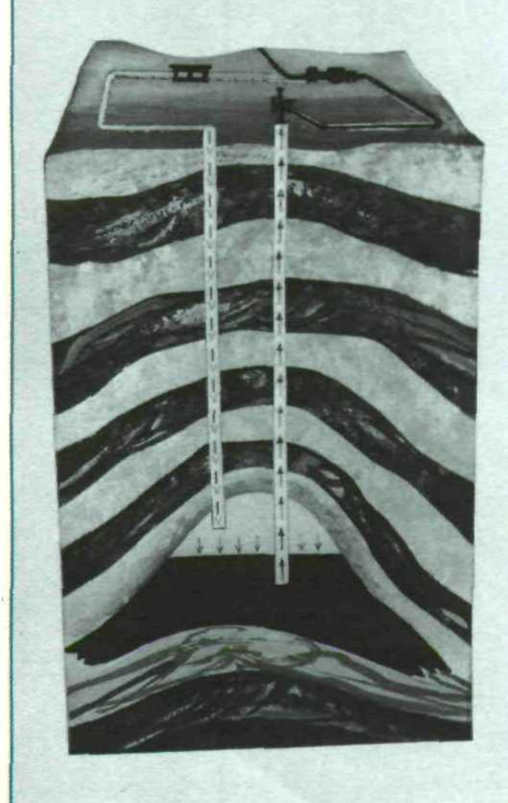
فالمعلومات التي يتزود بها رجال الزيت عن طريق فحص عينات الصخور الجوفية ، وعن طريق اجهزة قياس الضغط ودرجة الحرارة في المكامن ، وأجهزة قياس المسامية والنفاذية ، كلها تحول الى رموز حسابية تنقل بالتالي على بطاقات مثقوبة تقوم بتفسيرها الآلات الحاسبة ليعمل على ضوئها في التخطيط والانتاج .



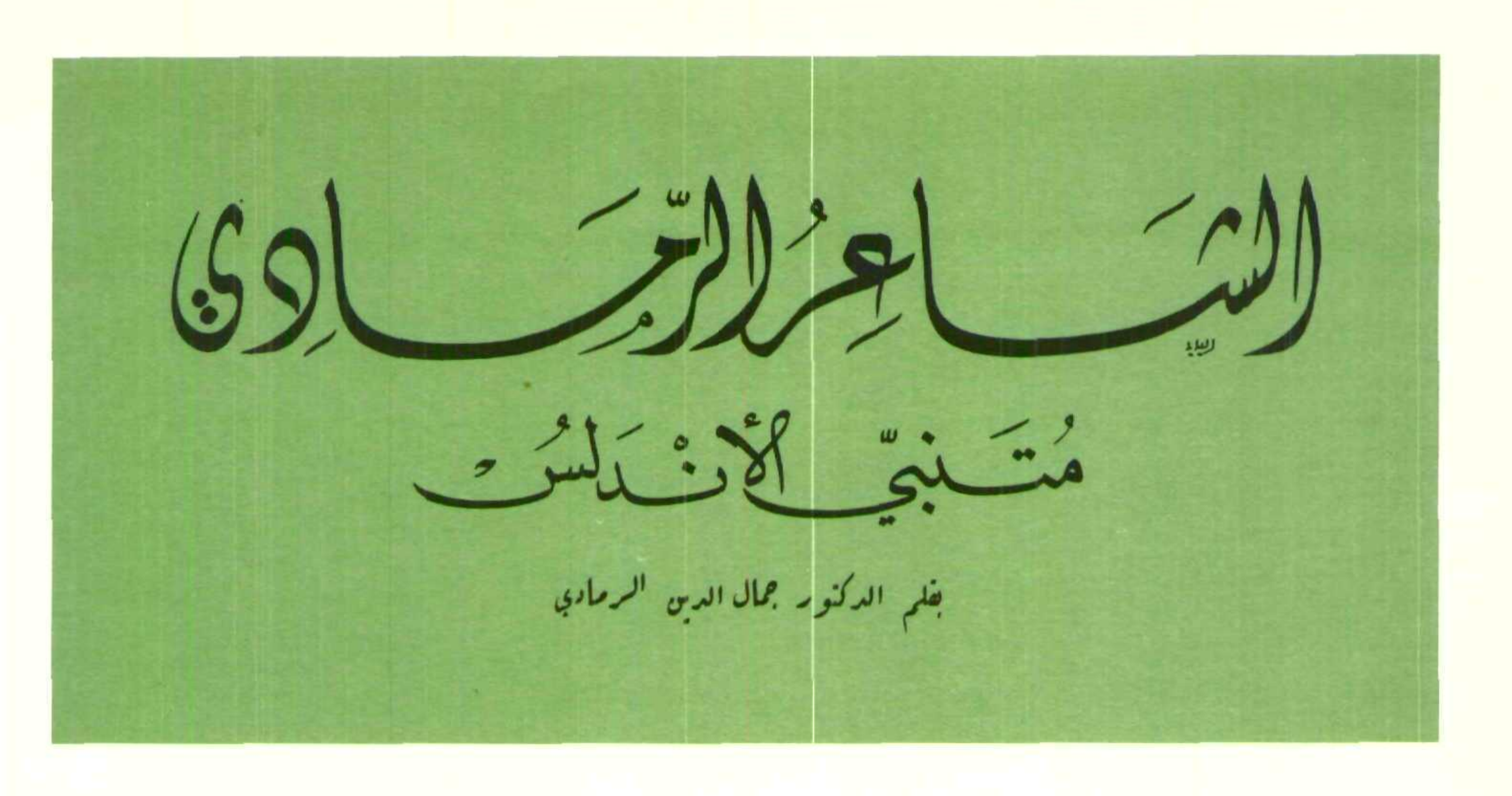
احدى آبار الزيت في المملكة العربية السعودية .



أ – نموذج لطريقة حقن الماء في مكامن الزيت للمحافظة على الضغط .



ب – نموذج آخر لطريقة حقن الغاز في مكامن الزيت للغرض نفسه .



منذ اكثر من عشر سنوات ، قابلت الاستاذ الدكتور حسين مؤنس (مدير معهد مدريد للدراسات العربية) مصادفة فاخبرني أن مستشرقا اسبانيا كبيرا يرغب في لقائي ، وهو المستشرق الاسباني المعروف «جراثيا جومز» .

وكان «جراثيا جومز» قد قرأ عدة مقالات بقلمي ، فآثر أن يلقاني ، وشعرت وقتذاك بالزهو يتملكني ، غير اني عندما التقيت بهذا المستشرق لم اسمع اعجابا كما كنت اتوقع ، ولم اتلق ثناء كما كنت اترقب ، انما سمعت منه دعوة صريحة لدراسة الأدب الاندلسي ، وتتبع آثار شاعر كبير من شعراء الاندلس ، واعني : الشاعر الرمادي الذي اعتقد المستشرق الكبير انه جدي الاكبر ، واني انحدر من سلالته ، وسألني البحث عن المخطوطات التي تضم شعره وآثاره الأدبية .

وهنا لم أحر جوابا ، وسألته عن رأيه في البحوث التي انشرها فابتسم وقال : انت باحث جيد غير أنك ستبلغ القمة عندما تكتب بحثا عن الرمادي ! .

وتمر السنوات تلو السنوات ، وتصرفني الظروف عن متابعة البحث في شعر هذا الشاعر . ولكني بين الحين والحين ارجع الى «نفح الطيب» للمقري فألمح شاعريته المتدفقة تطل بين السطور ، واقرأ اخباره ونوادره فيتملكني السرور ، وأسأل الله أن يهبني البسطة في العمر ، والفراغ في الوقت حتى اكتب دراسة مفصلة عن هذا الشاعر الذي استهوى علما خفاقا من اعلام المستشرقين في أوربا .

وقد جاء في «مطمح الانفس ومسرح التأنس» — طبعة القسطنطينية — ان الشاعر الرمادي ، شاعر مفلق ، انفرج له باب الصناعة المغلق ، وومض له برقها المؤتلق ، وسال بها طبعه كالماء المتدفق ، فأجمع على تفضيله المختلف والمتفق . فتارة يحزن ، وتارة يسهل ، وفي كلتيهما بالبديع يعب وينهل ، فاشتهر عند الخاصة والعامة بانطباعه في الفريقين ، وابداعه في الطريقين . وكان هو وابو الطيب متعاصرين ، وعلى الصناعة متغايرين ، وكلاهما من كندة ، وما منهما الا من قدح في الاحساس زنده .

وتقول دائرة المعارف الاسلامية : ان اسمه الكامل «ابو عمر الرمادي» ، وهو شاعر الاندلس ، وتوفي في القرن الخامس او حوالي عام ٤٠٣ ه .

ومنشأ الرمادي اما ان يكون من «الرمادة» وهي مدينة في الاندلس ، أو ربما نسب الى الرماد لانه كان يتاجر بالرماد ، أو لان العرب كانت تكني بقولها «كثير الرماد» عن الكرم والجود .

ومدينة الرمادة في الاندلس ، مدينة عربية فيها كثير من الآثار العربية التاريخية التي تنطق بعظمة العرب عبر التاريخ . وهناك مدينة أخرى في العراق تعرف بالرمادي ، وبها قلعة مشهورة تعرف بقلعة الرمادي . وعند أسوان في الصعيد المصري توجد مدينة أخرى تسمى «الرمادي» . كان المرحوم الاستاذ الكبير عباس محمود العقاد يردد اسمها كثيرا في مجالسه . كما توجد بالقرب من مدينة الفيوم بمصر مدينة تسمى «دار الرماد» ، واغلب الظن أن القبائل الاولى التي عاشت في هذه المدن من أصل واحد مهما تناءت الديار وبعد المزار .

والمرجح ان «وفرة الرماد» التي طالما كنى بها العرب كانت من سمات هذه القبائل ، على ما عرف عن العرب من الكرم والجود .

وقد ذكر الحميدي في كتابه «جذوة المقتبس» عدة شعراء يحملون لقب الرمادي . غير ان ابرزهم هو ابو عمر يوسف بن هارون الكندي .

وذكر المقري في «نفح الطيب» نقلا عن «المطمح للفتح بن خاقان» ان الرمادي قرطبي ، كثير الشعر ، سريع القول ، مشهور عند الخاصة والعامة لسلوكه في فنون من المنظوم والمنثور مسالك شتى ، حتى كان كثير من شيوخ الادب في وقته يقولون : فتح الشعر بكندة وختم بكندة ، ويعنون أمرأ القيس ، والمتنبي ، ويوسف بن هارون . على ان كون المتنبي من كندة القبيلة معروف ومشهور في الأدب .

وكان الشاعر الرمادي متيما بحب فتاة تسمى «خولة» ازجى اليها كثيرا من نفثات قلبه وخلجات شعره ، فارهف حبها حسه ، وصقل وجدانه وشعوره ، ونظره وتفكيره ، فقال في احدى قصائده العذبة :

أومى لتقبيل البساط خنوعا   فوضعت خدي في التراب خضوعا
ما كان يذهبه الخنوع لعبده   الا زيادة قلبه تقطيعا
قولوا لمن أخذ الفؤاد مسلما   يمنن عليّ بردّه مصدوعا
لا تنكروا غيث الدموع فكل ما   ينحل من جسمي يكون دموعا

وفي قصيدة أخرى من قصائد الرمادي نجده يحاول ان يتمسك باهداب الصبر ، غير انه لا يستطيع الى ذلك سبيلا ، ولا يجد الى ذلك طريقا . ويجلو عن نفسه لثام اسرارها ، ويكشف عن سريرته مطوى اخبارها ، ويعبر عن خلجات الحب التي نحس بها ، ونسمع في الفن دبيبها ، بيد اننا نقف عاجزين عن وصفها والتعبير عنها والافصاح عن أمرها .

يقول الرمادي :

قالوا اصطبر ، وهو شيء لست اعرفه
من ليس يعرف صبرا كيف يصطبر ؟
اوصى الخليّ بان يغضي الملاحظ عن
غر الوجوه ففي اهمالها غرر
وفاتن الحسن قتال الهوى نظرت
عيني اليه فكان الموت والنظر
ثم انتصرت بعيني وهي قاتلتي
ماذا تريد بقتلي حين تنتصر ؟
ظلمتني ، ثم اني جئت معتذرا
يكفيك اني مظلوم ومعتذر

وقد قضى الرمادي حياته في «قرطبة» اللهم الا بضعة شهور قضاها منفيا في «سراجوته» .

واثرت طبيعة «قرطبة» في جزالة نظمه ، وروعة فنه . ولا غرو في ذلك ، فقد أسهب العلماء في وصف هذه المدينة ، فقالوا انها قاعدة الاندلس ، وقطبها وقطرها الأعظم ، وام مدائنها ومساكنها ، ومستقر الخلفاء ودار المملكة في النصرانية والاسلام ، ومدينة العلم ، ومستقر السنة والجماعة ، نزلها جملة من التابعين وتابعي التابعين .

وقال الحجاري في وصف «قرطبة» مدينة الرمادي : «قرارة اولي الفضل والتقى ، ووطن أولي العلم والنهي ، وقلب الاقليم ، وينبوع متفجر العلوم ، وقبة الاسلام ، وحضرة الامام ، ودار صواب العقول ، وبستان ثمر الخواطر ، وبحر درر القرائح . ومن افقها طلعت نجوم الأرض واعلام البصر ، وفرسان النظم والنثر ، وبها انشئت التأليفات الرائعة ، وصنفت التصنيفات الفائقة» .

ففي هذه البيئة العلمية ، وبين اكناف هذه الطبيعة الشاعرية ، عاش الرمادي فترة طويلة من عمره ، وعب من مناهل الثقافة التي تدفقت في هذا العصر ، والتي أرسى دعائمها ملوك الاندلس ونذكر منهم الخليفة الناصر الذي وفد عليه ابو علي القالي ، فاكرم الخليفة مثواه ، وحسن منزلته عنده وأورث أهل الاندلس علمه ، فضلا عن انه كان مولعا باقتناء الكتب ، وبعث الى الاقطار يطلب شراءها حتى طلب الى الاندلس من الكتب ما لم يعهده الناس من قبل ، وبعث في طلب كتاب «الأغاني» الى مصنفه «ابي الفرج الاصفهاني» . وارسل اليه ألف دينار من الذهب العين فبعث بنسخة منه قبل ان يخرجه الى العراق ، وكذلك فعل مع القاضي ابي بكر الأبهري المالكي في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم . وحذا حذو الخليفة الناصر ، الخليفة المستنصر حتى جمع مكتبة كبرى قيل انها كانت اربعمائة ألف مجلد ، وانهم لما نقلوها اقاموا ستة اشهر في نقلها ، وكان ذا غرام بالكتب ، فاستوسع علمه ، ودق نظره ، وجمت استفادته .

أما المنصور بن ابي عامر الذي مدحه ابو عمر يوسف بن هارون الرمادي ، فقد كان اديبا كذلك ، وكان في بداية حياته صاحب دكان بباب النصر يكتب فيه لمن تعن له الكتابة من رجال القصر . فارتفع صيته ، وسما ذكره ، وتقرب الى اصحاب السلطان .

ومن هنا كانت الحياة الأدبية التي عاشها الرمادي ، حياة خصبة حافلة . ثم شاعت عن الرمادي اشعار في دولة الخلافة فأوغرت عليه الصدور ، وسجنه الخليفة دهرا واسكنه من النكبة وعرا ، فاستعطفه اثناء ذلك واستلطفه ، واجتناه كل زهر من الاحسان واقطفه .. على حد تعبير المقري في «نفح الطيب» .

وكانت اشعار الرمادي في السجن تفيض بالألم وتترع بالشجن ، وكان فراقه لخولة ، صاحبته ، يقلقه ويؤرقه دائما . ومن شعره في هذا الباب قوله :

على كمدي تهمي السحاب وتذرف   ومن جزعي تبكي الحمام وتهتف
كأن السحاب الواكفات غواسلي   وتلك على فقدي نوائح هتف

ولم يكن شعر الغزل هو كل شعر الرمادي ، انما نظم في المدح والفخر غير ان ديوانه لا يزال موجودا في «برلين» لم تنله يد النشر . وهناك ترجمات موجزة واشعار منتخبة من شعره في كتب متفرقة منها : كتاب «المطمح» للفتح بن خاقان صفحة ٦٩ ، وفي «المسالك» الجزء الحادي عشر صفحة ١٧٥ لابن فضل الله ، «والشذرات» الجزء الثالث صفحة ١٧٠ لابن العماد ، «ونفح الطيب» الجزء الخامس صفحة ١٧٨ للمقري ، «والجذوة» صفحة ١٥٨ للحميدي .

ومن شعره العذب ، قوله في تهنئة ابن العطار الفقيه بمولود :

نهنيك ما زادت الايام في عددك   من فلذة برزت للسعد من كبدك
كأنما الدهر دهر كان مكتئبا   من انفرادك حتى زاد في عددك
لا خلفتك الليالي تحت ظل ردى   حتى ترى ولدا قد شب من ولدك

وربما اطلق على الرمادي «متنبي الغرب» لانه عاصر المتنبي وتأثر بشعره ، ونظم في فنونه ، ومر بأزمات نفسية مشابهة . فقد انطلق المتنبي يتنقل بين البوادي والحواضر ، بين مدح للامراء وهجاء لهم ، فاتصل بسيف الدولة ، وانحدر الى دمشق ، ثم الى الرملة . ثم غادرها الى كافور الاخشيدي في مصر والألم يعصر قلبه ويكوي فؤاده ويحطم كيانه . وكذلك مرّ الرمادي بأزمة عنيفة عندما أُلقي به في غياهب السجن ، وحيل بينه وبين صاحبته «خولة» التي اغرم بها وتدله بحبها .

كما ان الرمادي يتفق مع المتنبي في القبيلة التي خرجا منها وانتميا اليها على النحو الذي اشرنا اليه . وربما تفتحت حيالنا مجالات أخرى ، وطاقات جديدة للمقارنة اذا ما عثرنا على مجموعة كافية من اشعار الرمادي التي لا تزال حتى اليوم رهينة احدى المكتبات في «برلين» .

ولعل أحد الباحثين — وأرجو ان اكون من عدادهم — يتمكن من الوصول الى ديوان هذا الشاعر الذي أثار اهتمام المستشرق الكبير «جراثيا جومز» ، ليكشف لنا عن جنبات مطوية من حياة وشعر هذا الشاعر .

مَطبَعَة جَديدَة تحُمِّلُ حَرفَ الطباعة العَربيَّ

بقلم الاستاذ عقيل هاشم

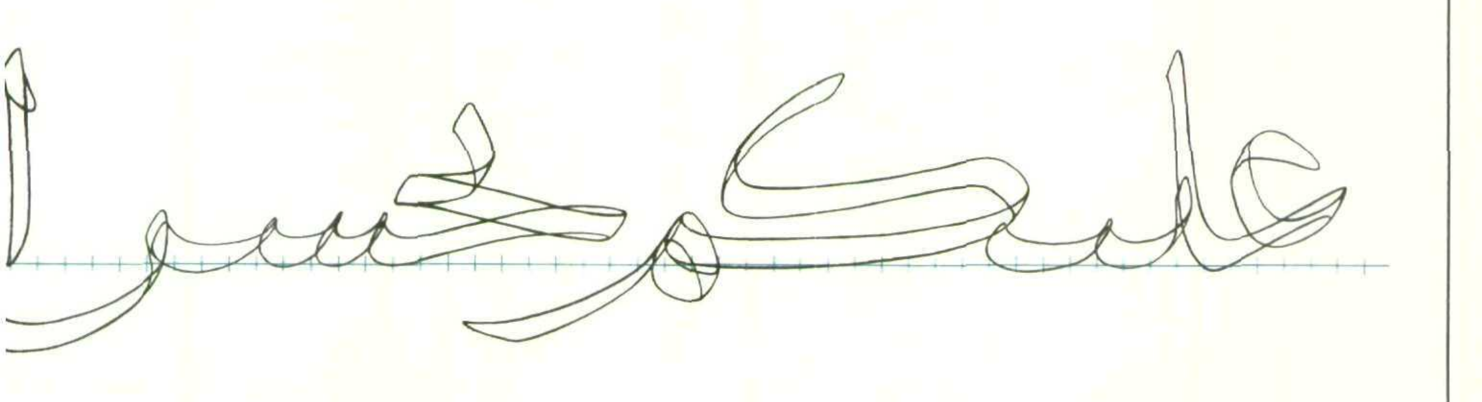
دور النشر والطباعة في الاقطار العربية ، وصلت ولا شك الى مستوى فني طيب . فهي لم تتقاعس عن استيراد آلات المونوتايب واللينوتايب في الوقت المناسب ، وبذلك تخلصت الى حد بعيد من اسلوب الطباعة القديم القائم على صف الاحرف باليد . وواكبت انتصارات ميدان الطباعة ، وحسنت مستوى ناتجاتها ، ووفرت على عمالها الجهد المضني الذي كانت تتطلبه الأساليب القديمة . ونعرف جميعا ان آلات المونوتايب واللينوتايب هي الآلات التي تنقل النصوص المنوي طباعتها على اشرطة ، بطريقة التخريم السريع ، ما تلبث ان تحولها الى حروف فولاذية تطبخ حالا وتدفع في صفوف متلاحقة تعجز اليد العزلاء مهما كانت ماهرة عن مجاراة سرعتها . لكن مجال الطباعة الواسع لم يقف عند هذا الحد . اذ عرفت المطابع الغربية منذ زمن اسلوب «الاوفست» وهو الاسلوب القائم على التقاط النصوص او الرسومات الزيتية الملونة بالتصوير الفوتوغرافي على افلام خاصة غالية الثمن ، ونقل الناتج على صفائح معدنية يعمد فيما بعد الى طبعها على طرائح الورق . واسلوب «الاوفست» هذا معروف حاليا في بعض مطابعنا ، ويرجع الفضل له في اخراج الصفحات الملونة على صورة لوحات زيتية اصلية ، وفي نقاوة الطبع نقاوة لا تضاهى . وان كان هذا الاسلوب مرتفع التكاليف بالنسبة للاساليب القديمة ، الا ان له مزايا كبيرة . والدليل على ذلك ، موجود في صفحات المجلات الغربية المشهورة ، وفي الكتب الغربية المحتوية على صور ملونة . فان نقاوة الطبع فيها تلاحظ حالا ، وكذلك شأن امتزاج الالوان وتداخلها في صفحاتها الملونة .

وليس لموضوع الطباعة باسلوب «الاوفست» او غيره علاقة بحديثي هذا ، سوى ما يتصل منه بقصة آلة «اوفست» صممها رجل غربي للطباعة بالعربية . وهي قصة مؤثرة ومعبرة ، لان صاحبها قضى في اعداد آلته وتصميمها اكثر من عشرين عاما . وصرف السنين الطويلة يبحث عن مراجع مختصة تعاضده وتشد ازره دون الوصول الى النتائج المرجوة . والرجل تجاوز الستين من عمره ، ويتصرف الآن كالملهوف الذي يحس بأن الزمن تعداه وتخطى آماله وأحلامه ، فينام ليلته على كابوس آلته ويفيق من نومه ليجد صورتها تملأ عليه يومه وتكدر عيشه .

الرجل هولندي ، اسمه الدكتور «بلوي» ، وهو استاذ في الرياضيات . ولكنه في مراحل تحصيله الاولى ، اعتنى بالدراسات العربية وتعلم اللغة العربية وطالع كتب ومخطوطات الاقدمين من فلاسفة العرب وحكمائهم ومفكريهم ، وهي الكتب والمخطوطات الموجودة في مكتبة جامعة «ليدن» الهولندية باعداد وفيرة جدا . وكان منذ ان اصبح ضالعا في شئون اللغة والفكر العربيين ، يحس بأن الحرف العربي المطبوع بحاجة الى تعديل ليصبح موصولا وصلا تاما بالحرف الذي يسبقه او بالحرف الذي يليه . فان مواضع الفصل او القطع في الكلمات العربية المطبوعة ، عامل تشويه في النصوص المطبوعة . هذا ما يراه هو وما لا بد من موافقتنا جميعا عليه . وأكثر من ذلك ، فانه يرى ان الحرف العربي المطبوع ينقصه الجمال والرونق الذي تتحلى به الأحرف المخطوطة باليد ، سواء بالاسلوب الرقعي او بغيره من اساليب الخط العربي المعروفة . فاذا امكن صب الاحرف المطبوعة باسلوب مخطوط واذا امكن كذلك وصل هذه الأحرف وصلا تاما عند تكوين الكلمات بحيث تزول مواضع الفصل او القطع من بينها ، ارتفع مستوى الطباعة العربية ارتفاعا عظيما دفعة واحدة .

وقد زرت هذا الانسان الطموح الذي يكافح بحرارة واندفاع في سبيل فكرة سامية ، في بيته . وعجبت اول ما عجبت ، بمبلغ الصبر والجلد

مخطوطة بيد المخترع ، تبين فكرته في الغاء مواضع القطع بين الحروف المطبوعة .





المخترع الهولندي الدكتور «بلوي» .

الذي يتمتــع به . فقد عثرت في ادراج مكتبتــه ورفوف مكتبتـه على كميــات لا يستهان بهــا من لفائف الورق الصقيل اجرى عليها تجاربه لتعديل صورة الحرف العربي المطبوع ، وعلى ثروة من الكتب والمؤلفات العربية القديمة ، اصلية ومترجمة . وبالنسبة للفائف التي اجرى عليها تجاربه ، فقد استعان في رسم الأحرف والكلمات عليها بنصوص عربية قديمة وحديثة مخطوطة باليد ، وكانت النتيجة خلاصة مذهلة فعلا . وعلاوة على ذلك ، فقد عثر على اسلوب لربط الأحرف ربطا محكما ، بحيث تزول الفواصل والقواطع من بينها .

ولقد قال لي استنادا الى معلوماته الخاصة ، ان الأحرف العربية المطبوعة كانت الى وقت ما ٤٧٠ حرفا ومقطعا ، نجحت لجنة تبسيط الكتابة في المجمع اللغوي العربي في خفضها الى ١٣٥ . وحسب اسلوبه يمكن ان تخفض الى تسعين او ثمانين . وقد عمد في ازالة الفواصل والقواطع الى تصميم الحروف بحيث تركب نهاياتها او مقدماتها على نهايات او مقدمات الاحرف السابقة لها او التي تليها . وتكون هذه الحروف مخطوطة او مصبوبة بالاسلوب الرقعي او غيره . فاذا ما اتبع اسلوب «الاوفست» في طباعتها ، فان من الممكن تضخيمها او تصغيرها حسب الطلب ، فتأتي سميكة او متوسطة السمك او رقيقة ، وبهذا تصلح لمختلف انماط العناوين ايضا . ومتى طبعت ، جاءت جميلة التصميم اولا ، وجاءت بدون فواصل او قواطع ثانيا . وبهذا تصبح الكلمة العربية المطبوعة قطعة واحدة من الرسم الجميل .

ويدرك هو ان بدء المشروع بآلة طباعة كبيرة قد يكون تهورا او تعجلا ، طالما ان مشروعه لم يتبلور بعد . ولذلك ابتدأ بتصميم آلة «اوفست» صغيرة لهذا الغرض ، يكاد لا يزيد حجمها الا بمقدار ضئيل على آلة الكتابة العادية . ومثل هذه الآلة تصلح في رأيه لكل مطبعة ، ولكل دائرة حكومية ، ولكل مؤسسة خاصة ، ولكل مدرسة ... اذ تطبع عليها الكتيبات الصغيرة بسرعة وباتقان ونقاء ، وتطبع عليها ايضا الكراسات التوجيهية بكميات كبيرة لكي توزع في الريف ، والمناشير الاعلامية او الادارية في المؤسسات الحكومية والشركات . وبهذا يتسع نطاق النشر العربي في الاقطار العربية ويصبح للكلمة المطبوعة فيه المركز الذي تستحقه ، خاصة وان الحكومات العربية في المرحلة الحالية ساعية بكل ما تملك من طاقات الى توسيع النشر والتعليم ، وتشجيع القراءة ، والقضاء على الأمية قضاء تاما في الارياف التي كان حظها فيما مضى من التعليم ضئيلا جدا .

وتعتمــد آلة الدكتور «بلوي» على الأصابع في دق الاحرف المطــلوبة . وتوجــد الأحرف المخطوطة او المصبوبة فوق كريات متصلة بأذرع الأصابع ، متى تحركت الاصابــع نزلت الى وسط الآلــة لتواجه عدســة «الكاميرا» التي تسجلها بدورها على شريط يشبه اشرطة التسجيل العادي او الافــلام . وينقل النــاتج بعد ذلك على ألواح خاصة من المعدن تقوم بدورهــا بوضعه على الورق .

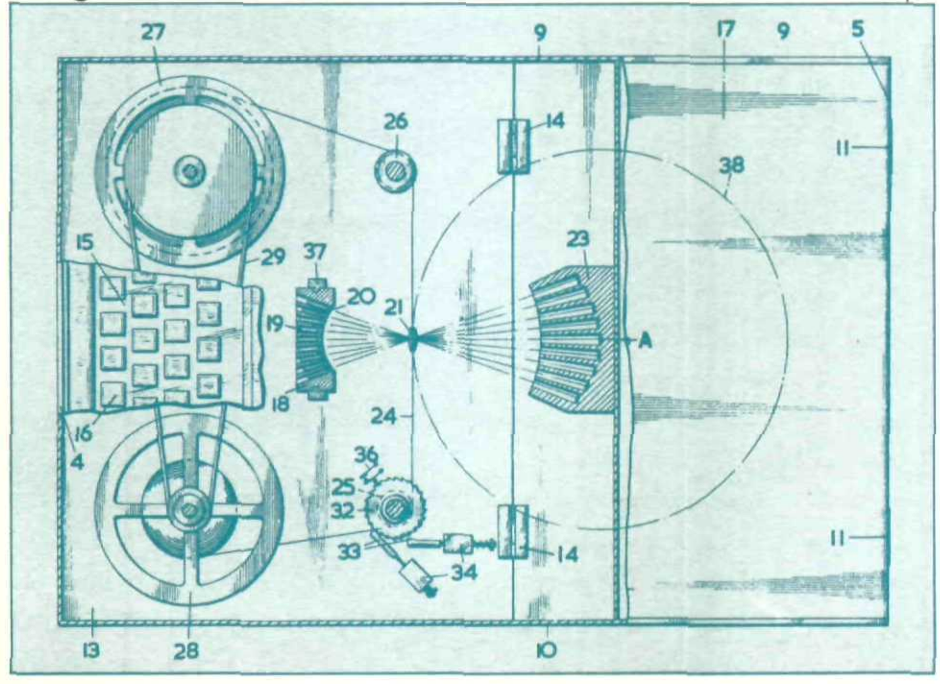
ويرى صاحب المشروع ان تضخيم الآلة في المستقبل ليس بالامر العسير . فالاسس واحدة ، ومتى احست دور الطبع العربية بفائدتها لطبع الكتب والصحف ، فان الهيئة المشرفة على صنعها وانتاجها وتوزيعها لن تفشل في اعداد نسخ كبيرة منها .

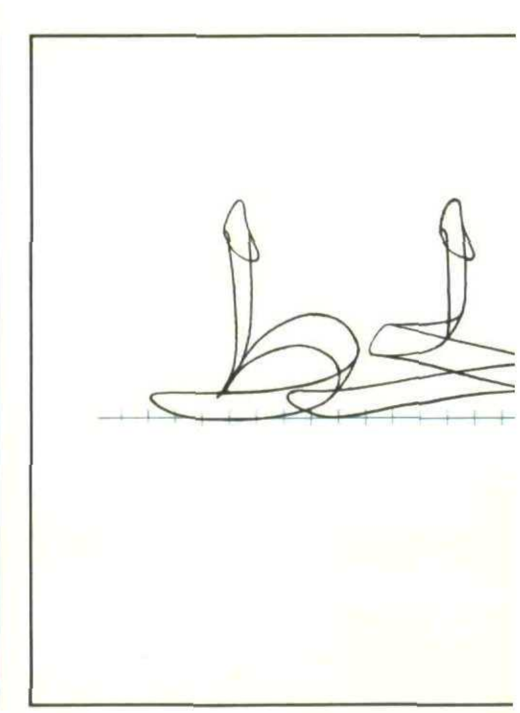
* * *

هذه هي خلاصة القصة وخلاصة الآلة التي تختبىء بين سطورها . وصاحبها مؤمن بمشروعه كل الايمان ويتكلم عنه بروح شابة وثابة مفعمة بالامل رغم خشيته من انتهاء اجله قبل تحقق احلامه . فهو يقول ان الربح المادي لا يعنيه ، لانه يعرف ان السنين فاتته ولانه يملك من الدخل ما يكفيه ويكفي زوجته بقية ايامها . وكذلك فان ابناءه شقوا طريقهم في الحياة بنجاح وعاد لا يقلق عليهم . وكل ما يريده على هذا الاساس ، ان يقدم للعرب فكرة ثقافية علمية بحتة يرجو ان تكون ذات نفع .

وقد توصل الى اقناع بعض المؤسسات المختصة في بلده ، لمساعدته وشد ازره ، الا ان المهم هو اقناع مصادر عربية مالية وتجارية باستيراد هذه الآلة متى صنعت على نطاق واسع . ولعل في العناية بهذا الرجل ، ما يعود علينا فعلا بثروة علمية ضخمة ...

رسم للمطبعة ، الجهة اليمنى مكان الحروف . الجهــة الوسطى عدسة «الكاميرا» ، الجهة اليسرى .. اصابع الدق .





منطقة الخليج العربي وأثرها في الحضارة البشرية

بقلم الاستاذ عبد الحافظ كمال

قد لا يخطر على ذهن المرء ان منطقة الخليج العربي قد لعبت دورا رئيسيا في تاريخ الحضارة البشرية سواء ما حدث على هضاب الخليج في الشمال أو ما جرى على مياهه المترامية في الجنوب أو ما حصل على شواطئه ورماله الشاسعة في الغرب .

فمن الثابت في الوقت الحاضر ، انه على سفوح جبال «زاغروس» المحيطة بالخليج أسس الانسان الأماكن الأولى لاستقراره عندما تحول من دور الصيد ثم الرعي الى دور الاستقرار والزراعة البدائية ، فبنى أولى القرى البشرية حوالي الالف العاشر قبل الميلاد . وقد دعم هذا القول تنقيبات أثرية عدة جرت في اماكن مختلفة من منطقة الخليج . فعلى سفوح جبال «زاغروس» قام الانسان بتدجين معظم الحيوانات ، وكذلك النباتات التي لعبت دورا رئيسيا جوهريا في حياة الانسان .

ففي تلك القرى البدائية على سفوح جبال «زاغروس» قام الانسان بتدجين البقر والغنم والماعز ، وكذلك الكلب — الذي كان للحراسة والصيد ، وللأكل ايضا كما لا يزال عند كثير من الامم البدائية مثل شعب «ناجا» في شمال غربي الهند على حدود بورما — وأما النباتات فقد دجن هناك القمح والشعير وكثيرا من اشجار الفاكهة ، واكبر دليل على ذلك هو ان اصول جميع هذه الحيوانات والنباتات كانت ، حتى عهد قريب ، تعيش فيها بل ان كثيرا منها لا يزال يوجد حتى اليوم هناك على صورته البدائية .

ولقد قرأت موءخرا كتابا يقول كاتبه فيه : ان الجمل — وهو حيوان امريكي المنشأ — عبر من امريكا الى آسيا عبر برزخ «بهرنج» من الاسكا الى سيبريا عندما كان ذلك البرزخ أرضا يابسة جافة في اواخر الدور الجيولوجي المسمى بليوسين وفي مطلع العصور الجليدية — أي قبل ما يقرب من مليون ونصف مليون سنة — وانتشر في آسيا كلها وتعداها الى اوروبا حتى رومانيا حيث وجدت بقاياه . ثم انقسم في آسيا ، لسبب لا نعرفه ، الى «الفالج» وهو الجمل البختياري ذو السنامين ، و «الهجان» وهو الجمل العربي ذو السنام الواحد . وقد دجن هذا الأخير في اواسط بلاد العرب او في جنوبها الى الجنوب الشرقي ، اي حول الخليج بين «يبرين» و «حضرموت» منذ حوالي سنة ١٨٠٠ قبل الميلاد ، حيث تمكن الانسان بواسطته من فتح الصحراء واختراقها بقوافل الجمال .

هذا ، كما أن أول عجلة في العالم ظهرت عندما قدم بها السومريون — الذين لا يعرف حتى هذا اليوم من اين اتوا قبل الألف الرابع قبل الميلاد — الى المنطقة المحيطة برأس الخليج حيث دفعوا بالحضارة البشرية عدة خطوات الى الامام . فالبشرية مدينة الى السومريين بعدة امور جوهرية أهمها انهم عندما اتوا دفعوا بحياة القرى الى مستوى المدن . وهذه خطوة جبارة هامة والاختلافات بين حضارة القرية وحضارة المدينة عديدة كثيرة : اقتصادية وسياسية وادارية حضارية ، اهمها التخصص في المهن والانتاج للبيع والمقايضة والخضوع لحكومة مركزية تجمع الضرائب وتتولى الأمن ووضع القوانين وتنفيذها . كذلك تقدم السومريون في صناعة الادوات المعدنية ، فهم اول من مزج النحاس بالقصدير لانتاج البرونز الذي هو اقسى من النحاس .

غير ان معظم ما قدمه السومريون للحضارة البشرية كان اختراعهم للكتابة ، اذ ان نظامهم الاقتصادي الجماعي المرتبط بالهياكل دفعهم الى ايجاد طريقة لتسجيل اموال الهياكل وجرايات القائمين على امورها وزراعة اراضيها . وقد عثر المنقبون على ألواح ترتقي الى آخر الألف الرابع قبل الميلاد يعتقد بانها أول محاولة بشرية للكتابة .. وهي عبارة عن صور لبعض الأدوات اليومية العادية ، وبعض اجزاء الجسم البشري ، وبعض الحيوانات والنباتات وغير ذلك . ولم يستطع العلماء فهم كنهها ، وفك ألغازها ، ولكنهم يدركون بانها عبارة عن تسجيلات حسابات الهيكل . ولقد استخدمت الدوائر ، في بداية الأمر ، للتعبير عن العقود ، ونصف الدوائر للتعبير عن الآحاد . ثم تدرجت الكتابة بعدئذ الى ما يعرف الآن بالكتابة المسمارية ، وفقدت الاشكال صورها الأصلية وصارت مجرد رموز اصطلاحية تكتب بقلم يابس يطرز في لوح من طين وهو طري ثم يجفف اما بالشمس او بالنار . ثم تطورت هذه الكتابة حتى اصبح باستطاعة السومريين ومعهم الاكاديون الساميون الذين وفدوا اليهم واختلطوا بهم واستعملوا كتابتهم لكتابة لغتهم السامية — اصبحوا يكتبون بها ادق الأفكار واعمق الاحساسات البشرية واعقد التعابير . ولا شك في ان المصريين ايضا توصلوا

بعد السومريين الى الكتابة بالهروغليفية التي لم تتعـد مطلقا دور الكتابـة المقطعية الى ان أتى الكنعانيون الساميون فأخذوها منهم وطوروها الى حروف هجائية منفصلة كتبوا بها لغتهم ، ونقلها عنهم فرعهم المسمى بالفينيقيين الى اوروبا التي اقتبستها لكتابة لغاتها المختلفة من الروسية الى اليونانية واللاتينية والانجليزية .

وقد كانت المدينة السومرية راقية تقدمية انتشرت بين افرادها ، ذكورا واناثا ، القراءة والكتابة على مدى واسع لا مثيل له في كثير من بلاد العالم اليوم ، فوصلتنا مئات الالوف من الألواح الخزفية . ويكاد ان يعرف علماء الآثار والتاريخ كل صغيرة وكبيرة عن حياة السومريين . فالسومريون كانوا امة كاتبة دأبت على تسجيل كل شيء تقريبا ، وذلك بفضل نظامهم التعليمي الذي لا يمكن للمرء الا ان يقف امامه مذهولا لرقيه وتقدمه في ذلك العصر السحيق . فالمدارس كانت منتشرة انتشارا واسعا تشرف عليها الدولة ، والتعليم فيها مشترك للذكور والاناث ، والأساتذة متعددون احدهم مسؤول عن النظام وآخر عن مراقبة التعليم وآخر لتمرين الطلاب .

وأما الحياة الاقتصادية فكانت زاخرة : اسسوا مبادىء المصارف المالية ، ونشأت عندهم الصكوك لنشاط الحركة التجارية ، ونصت القوانين على ان الحد الأعلى للفوائد يجب ألا يتعدى ٣٣ ٪ هذا بالاضافة الى حركة تجارية خارجية واسعة اتصلوا بواسطتها بحرا وبرا بمدينة قديمة نشأت في حوض السند الاعلى وتسمى «موهن جودار» . وكانت جزيرة «البحرين» محطة هامة لتلك التجارة ، ومكانا لتبادل البضائع . كما ان السومريين تاجروا مع بلد أو بلاد في الخليج العربي على الشواطىء العربية اسمها في النصوص السومرية «ماجان» ، ويكاد يجمع المؤرخون اليوم على انها «عمان» بمعناها الواسع عندما كانت تشمل ساحل «الصير» بما فيه ابو ظبي . ومن الجدير بالذكر ان السومريين اوصلوا الحركة التجارية حول الخليج في البر والبحر الى درجة من النشاط والضخامة لم تصلها مرة ثانية الا في العصور الزاهية كالعصر الهليني والعصر الاسلامي حتى مجيء البرتغاليين . وسبب ذلك ان السومريين تاجروا ليعيشوا بينما كان غيرهم ، كالمصريين مثلا ، في حالـة اكتفاء تقريبا ولم يتاجروا الا بالكماليات . والسومريون أول من جمعوا القوانين ونشروها على الشعب ليتعرف ويعمل بها ، فكانوا اول من اهتموا بالأرملة واليتيم وسنوا القوانين لحمايتهما .

والآن نأتي الى الملاحـة البحرية التي كانت قوية شديدة في منطقة الخليج العربي منذ أقدم العصور ، بل ان اصولها تكاد ترجع الى الأزمنه الموغلة في القدم والتي لا ينير ظلامها بصيص من نور . ومع ان الانسان لا بد وانه قد قام في اماكن عديدة بمحاولات مختلفة لركوب الماء — في الانهار والبحيرات الصغيرة أول الأمر — الا ان هناك من يقول بأن الخليج العربي لم يشاهد اولى محاولات الانسان في ركوب لجج البحار فقط ، بل انه شاهد ايضا تطور هذه المحاولات الى ان اصبحت الملاحة البحرية فنا قائما بذاته . وبكلمة أخرى ان الملاحة البشرية ولـدت وترعرعت في الخليج العربي ، بل وان العرب أو أجدادهم الساميين على سواحل الخليج العربي هم الذين قاموا بها . ومن ابرز من يقول بذلك أمير البحر البريطاني «ج.ا. بلارد» في كتابه بالانجليزية الموسوم «حكام المحيط الهندي» .

يقول امير البحر «بلارد» : لا يوجد مكان على وجـه الارض — باستثناء القطبين — حيث الأرض جرداء قاحلة ليس عليها شيء مطلقا مما يقيم أود الانسان بينما البحر امامه يغلي كالمرجل بالاسماك والحيوانات البحرية — كالخليج العربي ، وعلى الاخص الشاطىء العربي الطويل الذي يمتاز ، بالاضافة الى ذلك ، بتدرج عمقه ببطء . فالبحث عن الغذاء اهم دافع للانسان .

ولقد استطاع الملاحون الساميون الخروج من الخليج ، ثم الذهاب رأسا من عمان الى مصب السند . ومن المعلوم ان الساميين ، عرفوا الرياح الموسمية قبل التاريخ بأمد طويل ، وقد حصلوا على الأخشاب من جبال عمان ومن الشاطىء المقابل اي «مكران» و «كرمان» ومن «السند» كذلك . وقد شاهد ملاح يوناني مجهول ترك كتابا اسمه «دليل الملاحة في البحر الاحمر» — ويعني بالبحر الأحمر في ذلك الوقت ، البحر الاحمر وبحر العرب والخليج العربي — وصف فيه نوعا بدائيا غريبا من السفن العربية التي كانت تتاجر مع الهند .. كان اسمها عندئذ «مضَرَّبة» ، وهو اسم مناسب للواقع اذ كانت ألواحها تربط ببعضها بألياف النخيل ، ولا حاجة الى القول بأنها كانت خطرة للغاية .

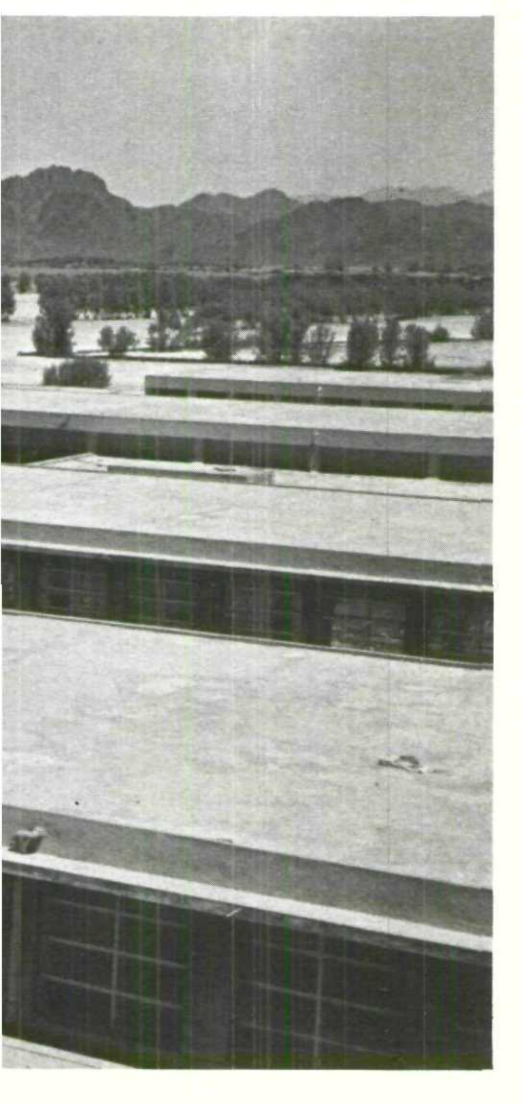
وقد ازدهر الخليج ادوارا عديدة عندما نشأت فيه او حوله دول قوية استطاعت ان تفرض سلطانها على جميـع أجزائه ، واعظم دولـة استطاعت ذلك هي الدولة الاسلامية اذ تحكمت في جميع شواطئه بل وبدواخل البلاد المحيطة به . ويخبرنا التاريخ بأن المسلمين عندما امتد سلطانهم الى البلاد التي على الحدود الشرقية منه ، هالهم أعمال القرصنة التي كان يقوم بها بعض القبائل الهندية كالزط — وهم قوم غزا بلادهم الساسانيون ونقلوا بعضهم من مواطنهم الى شواطىء الخليج العربي فعاثوا فيه وبقوا على اتصال مع بني قومهم في الهند . وكانت اعمال القرصنة هذه ، بشهادة التاريخ ، من اهم الأسباب التي حملت العرب على غزو الهند لقطع دابر القراصنة في عقر دارهم . وعندما تم ذلك صار الخليج بحيرة اسلامية عربية ترفرف عليه الطمأنينة والسلام عصورا متطاولة وصل فيها أزهى عصوره الذهبية ، تتمتع بالحماية الاسلامية فيه الأمم من كل جنس ولون ودين . وفي هذا الجو التجاري الصاخب المزدهر التي تسيطر عليـه الطمأنينة وتتجمع فيه وتنقل عبره تجارات العالم المتنوعة وتتفشى فيه الثروات الطائلة — نشأت الحكايات المثيرة عن اعمال الرحلات التجارية والاستكشافية التي تشبه الأساطير ، والتي نتلمس صداها الأسطوري في قصص السندباد البحري ، كما نقرأ حقائقها المذهلة في كتب الجغرافيا والرحلات التي خلفها لنا علماؤنا من أمثال البكري ، وياقوت الحموي ، وابن خرداذبة ، والمقدسي ، وابن حوقل ، وابن بطوطة وأضرابهم .

وقد استمرت التجارة فيه مزدهرة عظيمة طيلة العصور الاسلامية الى ان قدم البرتغاليون فحولوا التجارة عن هذه المنطقة ونقلوها من الهند الى اوروبا رأسا عن طريق «رأس الرجاء الصالح» ، فذبل الخليج تدريجيا ، وخسر العالم العربي كثيرا من الثروة التي كان يستفيد منها اذ كان يعيش الى حد كبير على التجارة التي كانت تمر عبره الى اوروبا .

وبقي الخليج يعيش على شيء من التجارة المحلية وعلى الغوص على اللؤلؤ ، ولكن سرعان ما تأسست الامبراطوريات الاوروبية في الشرق الاقصى فعادت الى الخليج أهميته كخط اتصال بري وجوي . ولم يمض طويل وقت حتى تدفق الخليج بينابيع النفط الذي اعاد الى الخليج غناه ورونقه وبهـاءه وملايينه ، ولا عجب ، فنفطـه الآن يحرك الآلات والمصانع في اوروبا الغربية وغيرها ، ويلعب دوره في جلب الرفاهية والسعادة والتقدم في كثير من بقاع الارض .

المدرسة الصناعية في المدينة المنورة


الاستاذ ابراهيم عبدالله الزاحم



تحقيق مصور أعده الاستاذ ابراهيم عبدالله الزاحم

الصناعة اساس قوي تقوم عليه نهضات الامم في العصر الحديث . وأرقى الامم في العالم اليوم ، هي التي قطعت شوطا بعيدا في مجال الصناعة . وبلادنا ، في نهضتها الحاضرة بقيادة صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم ، تولي هذه الناحية رعاية واهتماما بالغين . وقد نص جلالة الفيصل في بيانه التأريخي المشهور ، على حماية الصناعات الوطنية ، الثقيلة منها والخفيفة .. لما في هذه الحماية من تدعيم للصناعات المحلية ، ورفعها نحو التقدم والازدهار .

ومن الاسس الاولى لتحقيق التقدم الصناعي في اي بلد من البلدان ، ايجاد اليد الفنية الوطنية العاملة . والوسيلة العملية الى ذلك هي انشاء المدارس الصناعية ، مزودة بالامكانيات ومدعمة بالخبرة الفنية .

وقد اغتبطت كثيرا عندما طلب الي – باسم مجلة قافلة الزيت – ان اعد تحقيقا مصورا عن مدرسة المدينة المنورة الصناعية .. اغتبطت كثيرا لان هذه الدعوة صادفت هوى في نفسي ، اذ لم تكن الظروف قد اتيحت لي بعد لزيارة المدرسة الصناعية في مبناها الجديد .. مع ان الصدى الذي تركته في نفسي المعارض الكثيرة التي اقامتها المدرسة في السنوات الماضية ، لا يزال قويا .

لقاء مع مدير التعليم بمنطقة المدينة

خطر لي قبل ان اقوم بزيارتي للمدرسة ، ان ازور سعادة مدير التعليم في منطقة المدينة ، وان اجدد العهد بلقائه ، فقد مرت فترة طويلة لم ألتق به ، وان كنت اتابع باهتمام جهوده الكبيرة في خدمة التعليم في هذه المنطقة .

ودخلت على الاستاذ الكبير في مكتبه ، فوقف يحييني بحرارة وشوق ، ثم شرحت له غرضي فابتهج كثيرا وقال متحمساً كعادته عندما يتحدث عن موضوع وطني .. «واجب الصحافة هنا ان تبحث دائما عن مجالات نهضتنا لأن ذلك هو واجبها» .

والمدرسة الصناعية في المدينة المنورة هي اكبر مدرسة صناعية في المملكة ، ويعتبر قيامها مفخرة من مفاخر هذا العهد الزاهر» . ولما سألته عن الصعوبات التي واجهتها المدرسة عند تأسيسها ، أجاب سعادته قائلا : «كل الصعوبات ، مهما كانت قاسية ستتلاشى ويطويها النجاح في سبيل تحقيق الفكرة . ونحن مغتبطون بنجاح فكرة المدرسة اغتباطا كبيرا . واذا كان لا بد من الحديث عن الصعوبات التي واجهتنا عند تأسيس هذه المدرسة ، فانني اذكر ان اشد ما واجهنا من صعوبات هو زعزعة الترسبات القديمة العالقة بأذهان بعض الناس حول الصناعة والصناع ، فالفكرة القديمة تنظر الى الصناعة نظرة ازدراء وعدم تقدير ، ولقد استطعنا التغلب على هذه الصعوبة عن طريق تسهيل القبول في المدرسة اولا ، ثم اقامة المعارض التي تعرض انتاج الطلبة ثانيا . وبهذا كنا نضع ايدي الناس ، بصورة واقعية ، على ما يمكن ان تقدمه الصناعة من خدمات جلى لهم بواسطة سواعد ابنائهم . ثم وضعنا خطة

تمكن طلاب المدرسة من الاسهام في كل ألوان النشاط فيها . وقد كان لوزارة المعارف الفضل الأكبر في انجاح المدرسة ودفعها الى الأمام .. حيث زودتنا بكل الامكانات التي جعلتنا نحقق هذا النجاح» .

ووجدت اني قد أخذت الكثير من وقت الاستاذ الكبير ، فنهضت وحييته وأنا اشكره على هذه المعلومات القيمة وعلى ما اخذت من وقته الثمين .. ثم خرجت متوجها صوب المدرسة الصناعية التي لا تبعد كثيرا عن موقع الحرم النبوي الشريف . ولما وصلت الى المدرسة ، دلفت اليها من بابها العمومي فغمرني شعور غريب لا عهد لي بمثله .. ان لهذا المكان رائحة خاصة ، رائحة الشباب العامل والحيوية الدائبة .. رائحة تمتزج فيها حركة الانسان بصوت الآلة .. رائحة ذات عبير خاص كم اتمنى لو انها تعم كل شبر من ارض مملكتنا الفتية .

شخصيات مرموقة تزور المدرسة

دخلت على مدير المدرسة – الاستاذ سليم سمان – في مكتبه فوجدته منهمكا في دراسة اوراق



سعادة الاستاذ عبد العزيز الربيع مدير التعليم في منطقة المدينة .

جانب من المبنى الضخم الذي يضم المدرسة الصناعية في المدينة المنورة .

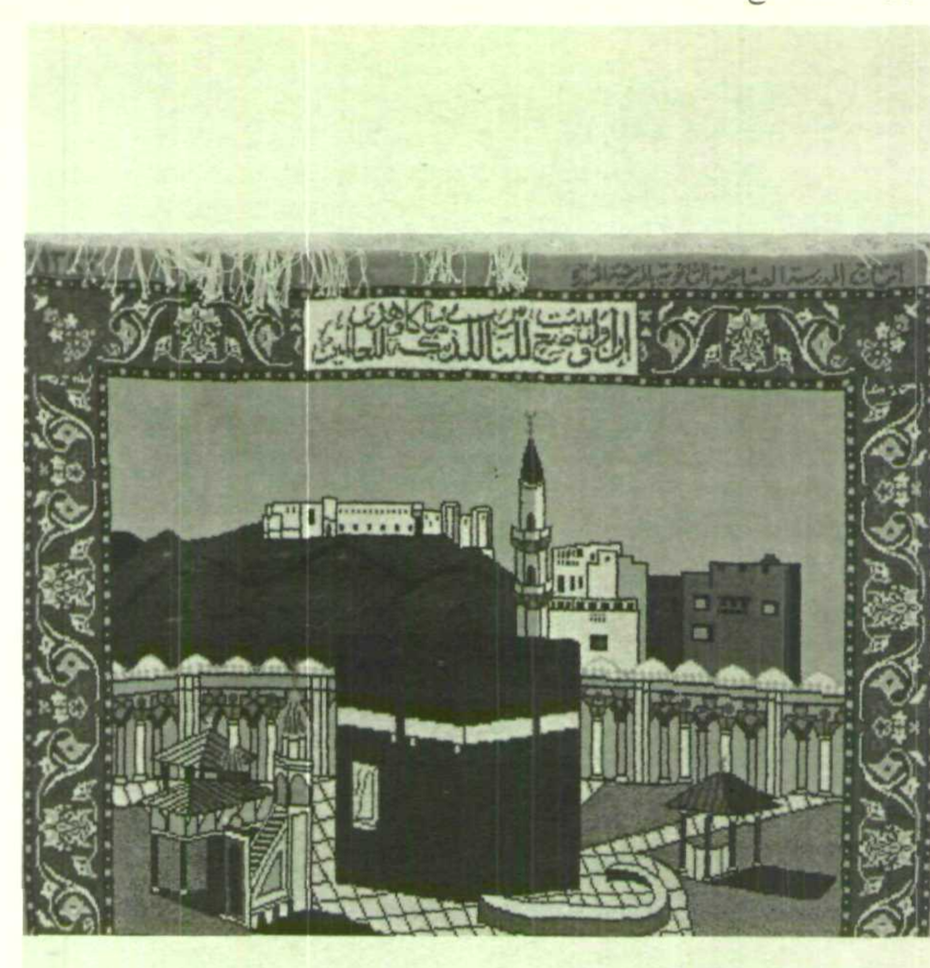
كثيرة امامه . وبادرته بالتحية وشرحت له غرضي من الزيارة فرحب بي وهو يشد على يدي ثم قال «انا مستعد للرد على كل ما يعن لك من اسئلة واستفسارات عن المدرسة» .. وكان اول ما خطر ببالي هو ان أسأله عن الشخصيات الكبيرة ذات المكانة المرموقة التي سمعت انها زارت المدرسة .. فأجاب السيد مدير المدرسة بقوله .. ان المدرسة قد حظيت بزيارة شخصيات كثيرة ذات مكانة مرموقة وعلى رأسها حضرة صاحب الجلالة الملك فيصل المعظم .

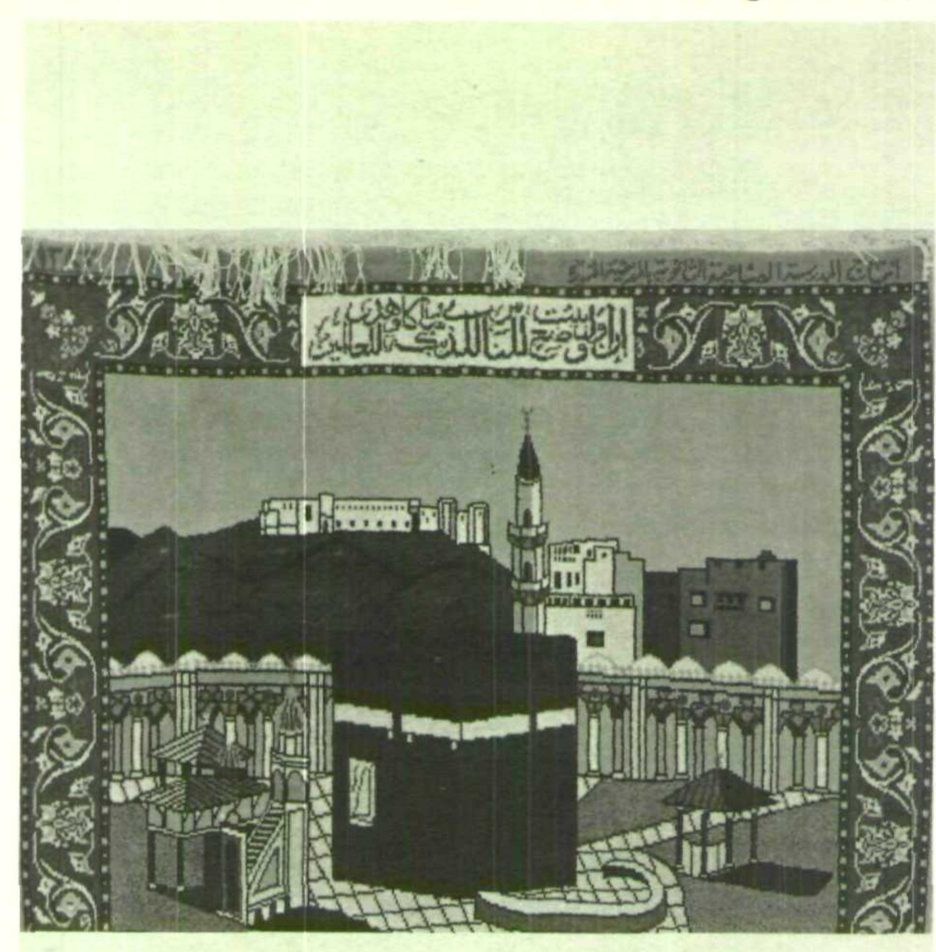
بين الماضي والحاضر

تأسست المدرسة الصناعية في المدينة المنورة في عام ١٣٧٦ هجرية . وكان عدد طلابها آنذاك لا يتعدى الخمسين طالبا وعدد المدرسين خمسة بما فيهم الاداريين ، اما عدد اقسام المدرسة فقد كانت ثلاثة اقسام فقط .

ولقد تطورت المدرسة في غضون السنوات التسع الأخيرة ، تطورا كبيرا ، فانتقلت الى مبنى جديد بني على الطراز الحديث ، ويقوم على ارض تبلغ مساحتها حوالي ثمان وثلاثين الف متر مربع . وتشعبت اقسام المدرسة حتى اصبح عددها في الوقت الحاضر ثلاثة عشر قسما تهتم بمختلف الأعمال الفنية والميكانيكية مثل : الكهرباء ، الخراطة ، الحدادة ، النجارة ، السباكة ، النقش ، النسيج ، التنجيد ، وعمل النماذج .

كما زاد الاقبال على المدرسة فأصبح عدد طلابها يزيد على ستمائة طالب ، فازداد نظرا لهذا مدرسوها والعاملون فيها حتى اوشك ان يبلغ عددهم مائة وثلاثين شخصا بين مدرس وموظف ، ومعظم هؤلاء المدرسين من خريجي المدرسة نفسها ، اذ ان المدرسة استطاعت في غضون السنوات التسع من





سجادة ذات نقوش بديعة من انتاج قسم السجاد في المدرسة الصناعية في المدينة المنورة .



بعض الآلات الحديثة التي يتدرب عليها الطلبة في قسم الخراطة في المدرسة .



عدد من طلبة المدرسة يقومون باصلاح

تأسيسها ان تخرج ست دفعات من طلابها .

خريجي المدارس الصناعية

ولما سألت السيد مدير المدرسة عن خريجي المدارس الصناعية سواء من هذه المدرسة في المدينة او من غيرها .. ما اذا كان لهم اثر في تدعيم الصناعات في المملكة خارج الادارات الحكومية ؟ اجاب بقوله : .. ان هذا الاثر لا يبدو كبيرا في الوقت الحاضر ، اذ ان عدد المتخرجين لا يزال محدودا ، بالاضافة الى ان معظمهم يجدون مجالا واسعا في الالتحاق بوزارات الدولة المختلفة . وعندما تتوافر اعداد كبيرة من هؤلاء الخريجين في المستقبل القريب ان شاء الله ، فان بعضهم سيتجه طبعا الى العمل الحر او الالتحاق بالمؤسسات الصناعية الأهلية ، وعندئذ سيبدو ذلك الأثر واضحا وجليا . على ان من الواجب على رجال الاعمال في بلدنا ان يحاولوا منذ الآن ، الاستفادة من بعض الخريجين من المدارس الصناعية ، ومساعدتهم على تنمية الظروف الملائمة التي تعينهم على تنمية معلوماتهم وخبراتهم .. كما ان على القادرين منهم ان يحاولوا مساعدة بعض الخريجين باحتضانهم ، ومنحهم قروضا تساعدهم على فتح ورش صغيرة ستكبر على مر الايام يبدؤون بها حياتهم العملية .. اذ ان الخوف من مواجهة المغامرة في العمل الحر ، لا يزال يسيطر على معظم الخريجين من المدارس الصناعية ، فلا توجد لديهم الثقة الموجودة عند غيرهم من الفنيين غير السعوديين .

تسويق منتجات المدرسة

وسألت السيد مدير المدرسة عما اذا كان بالامكان تسويق ما تنتجه المدرسة من سجاد ومنسوجات ولوحات فنية .. فيكون في ذلك نفع للطلاب وللمدرسة ودعاية طيبة لاعمالها ؟ فأجاب بقوله «.. انها فكرة جديرة بالبحث والدراسة ، وأرجو ان تكون موضع عناية المسئولين في وزارة المعارف» . ثم اردف قائلا .. بأنه قد كانت هناك فكرة لفرش الحرم النبوي الشريف بسجاد من صنع قسم السجاد بالمدرسة اذ ان هذا القسم قادر ، متى زود بالخامات والامكانات — على ان يقوم بهذا العمل الجليل .. ولكن هذه الفكرة لا تزال حتى الآن قيد الدراسة والبحث .

جولة في الأقسام المختلفة

ثم قمت بالتجول في المدرسة ، فأعجبني تنظيمها وتنسيقها ، ونظافتها . وشاهدت على طول ممرات المدرسة صحف حائط كثيرة يبلغ عددها ثلاث عشرة صحيفة يصدر كل قسم من اقسام المدرسة المختلفة صحيفة واحدة منها . وبعض هذه الصحف يمتاز باخراج رائع بديع ، ومزدانة برسوم ولوحات فنية جميلة .

وقد رأيت وأنا في طريقي الى المكان الذي تقع فيه ورش المدرسة ، غرفة رحبة جميلة التنسيق علمت ، فيما بعد ، بأنها ناد كشفي نظمه كشافو المدرسة .. وهي التي تمتاز بأكبر عدد من الكشافين .

هذا وتتبع المدرسة اصول السلامة في كل اعمالها .. لذلك يقل ، بل يندر وقوع الحوادث فيها بفضل ما تتخذه ادارة المدرسة من احتياطات لتلافي وقوعها .

وقبل ان اصل الى الورش رأيت صالة كبيرة دخلتها ، واذا بها مكتبة تحتوي على مئات الكتب والمجلات وكنت اتوقع ان اجد مجموعات ضخمة من الكتب الفنية والعلمية والصناعية ، ولكنني وجدت المكتبة تحتوي على كتب كثيرة ادبية تصلح للثقافة العامة . اما الكتب الخاصة بشؤون الصناعة فلا تكاد تذكر لقلتها ، وقد ابديت ملاحظتي لمدير المدرسة فأجاب بأن المدرسة مهتمة بتزويد المكتبة بهذا النوع من الكتب ولكن نظرا لان هذه الكتب لا توجد في مكتباتنا فان المدرسة تحاول ان تحصل عليها من الخارج ، وأرجو ان لا يمضي وقت طويل حتى تزود المكتبة بمجموعات كبيرة من هذه الكتب التي توسع آفاق الطلاب وتدعم معلوماتهم .

زيارة للورش المختلفة

ثم زرت (ورش) المدرسة فسررت كثيرا لما لاحظته من توفر الادوات والامكانات والآلات وبعضها حديث جدا كما ان بعضها الآخر دقيق يحتاج في استعماله الى دقة وعناية من الطالب الذي يستخدمها . وقد اعجبني اكثر من ذلك انهماك الطلاب في تمريناتهم وما ارتسم على وجوههم من شغف بالصناعة ورغبة صادقة في الاستفادة والاستيعاب . وعندما ناقشت بعض هؤلاء الطلاب سرتني اجاباتهم وايمانهم بمستقبل الصناعة في هذا البلد الكريم . وقد علمت بأن جميع الزوار الكبار الذين زاروا المدرسة قد اعجبوا بانتاج الطلاب وأثنوا عليه ثناء كبيرا . كما علمت ان بعض هذا الانتاج ، كالسجاد مثلا ، ترسل نماذج منه الى المعارض التي تشترك فيها المملكة في البلدان المختلفة .

ان كل ورشة من هذه الورش الثلاث عشرة التي تشتمل عليها المدرسة يقطعها السائر بعد جهد لطولها ، فلا ينتهي من زيارة الورش كافة حتى يكون قد استنفد آخر جهده ، وان كنت انا شخصيا لم اشعر بذلك لان الفرحة التي غمرت فؤادي وأثلجت صدري وأنا اتابع الايدي الفنية العاملة وهي تعبر الطريق لمستقبل صناعي باسم .. هذه الفرحة كانت اقوى من كل ما بذلته من جهد في السير والملاحظة والتتبع .



احدى الآلات في قسم النسيج في المدرسة .

ت في قسم هندسة السيارات في المدرسة .

لغة الأسبرانتو.. هل هي عالمية؟

بقلم الاستاذ ابو طالب زيان

تقوم لغة الاسبرانتو على العناصر المكونة لأكثر اللغات الأوربية الهامة ، بعد تبسيطها الى أقصى حد ممكن ، واستخدام نظام مبتكر ، يقوم على أحرف ومقاطع ، تضاف الى اللفظ في مقدمته أو مؤخرته .

غير أن لغة الاسبرانتو ، ليست بريئة تماما من العناصر غير الطبيعية المصطنعة ، وهي أوضح ما تكون في نهايات الأفعال التي تتألف منها هذه اللغة التي تقوم «أجروميتها» على ست عشرة قاعدة لا يحدها أي استثناء .

ويتيح استخدام المقاطع الموصولة بأوائل الكلمات وأواخرها ، الحصول على عدد كبير من الألفاظ من معين صغير من المفردات الأساسية التي تتشكل في أكثرها من ألفاظ دولية .

على أن قارىء اللغة الانجليزية ، اذا تيسر له ، أن يلم بطريقة هجاء هذه اللغة ، وبقواعد «أجروميتها» ، وبطريقة تكوين مفرداتها ، يكون في مقدوره ، أن يتعرف على ما يتراوح بين ٧٠ ، ٧٥ ٪ من مفردات لغة الاسبرانتو .

ولقد أحرزت لغة الاسبرانتو التي تلت لغة «الفولابوك» في مضمار الجهود المبذولة لوضع قواعد لغة دولية ، تقدما باهرا منذ عام ١٨٨٧ حين نشر الدكتور «لازاروس لود زامنهوف» — وهو طبيب روسي — كتيبا يشرح فيه ما سماه : باللغة الدولية ، وان كان يوقع باسم مستعار هو : «الدكتور اسبرانتو» الذي يحمل الأمل في انجاح هذه اللغة .

وفي خلال عشر سنوات من جهاد هذا الرجل ، انتشرت هذه اللغة ، لكن على نحو بطيء في وطن الكاتب ، وهو روسيا . وان كانت قد تعمقت جذورها في المانيا بتأسيس صحيفة (لا اسبرانتستو) سنة ١٨٨٩ ، كما انتشرت كذلك في الدول الاسكندنافية ، والولايات المتحدة ، وأبدت الجمعية الفلسفية الأمريكية في فلادلفيا ، اهتماما كبيراً بلغة الاسبرانتو ، حتى ان أمينها الدكتور «هنري فيلبس» ، قام بترجمة كتاب الدكتور «زامنهوف» الى اللغة الانجليزية ، وتولى نشره في نيويورك عام ١٨٨٩ . ثم اتسعت هذه الحركة سريعا عام ١٩٠٠ عندما تولى زعامتها بعض الفرنسيين البارزين ، لا سيما أعضاء أكاديمية العلوم الفرنسية الذين وطدوا العزم على انتشار هذه اللغة التي دخلت بريطانيا ، فوجدت الترحيب وسعدت بالقبول ، فتشكلت فيها ٣٠ جمعية للغة «الاسبرانتو» في نحو عام واحد ! . وفي الولايات المتحدة ، أنشئت صحيفة «الاسبرانتو» الامريكية في أوكلاهوما عام ١٩٠٦ ، وصحيفة أخرى بهذا العنوان في بوسطن عام ١٩٠٧ . وعقدت جمعية الاسبرانتو في أمريكا الشمالية اجتماعها الأول في شوتاكوا عام ١٩٠٨ .

وفيما بين الحربين العالميتين ، الاولى والثانية ، أحدث تقرير لسكرتيرية عصبة الأمم بعنوان «لغة الاسبرانتو : باعتبارها لغة دولية مساعدة» — وهو التقرير الذي أقرته العصبة بالاجماع في اجتماعها الثالث عام ١٩٢٢ — هزة كبرى ، حتى انه في خلال الحرب العالمية الثانية ، صدرت صحف سرية بلغة الاسبرانتو في كل من : فرنسا وبلجيكا ، وعقد اول اجتماع بجمعية الاسبرانتو في أمريكا الشمالية في فترة ما بعد الحرب في «كولواي» في أغسطس من عام ١٩٤٦ ، كما عقد اول مؤتمر دولي للغة اسبرانتو فيما بعد الحرب في مدينة «برن» في سويسرا في اغسطس من عام ١٩٤٧ .

على ان الذي دعا الى ايجاد هذه اللغة ، والترويج لها ، ما تتعرض له المؤتمرات الدولية التي تعقدها الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الرسمية والخاصة ذات الطابع العلمي أو التجاري أو الديني من عقبات ، نتيجة لسوء التفاهم الذي ينشأ عن اختلاف اللغة بالاضافة الى ضياع الوقت الطويل في الترجمة من لغة الى أخرى . وعلاوة على ذلك ، فانه يتحتم على كثير من الوفود أن تتحدث بلغة غير لغتها ، مما يصعب اجادته على النحو المنشود . كما تبرز هذه المشكلات كذلك في مجالات الاتصالات الخاصة والسفر والمكاتبات التجارية التي تكفلت بحلها لغة «الاسبرانتو» ، وقدمت حلولا معقولة لجميع هذه المشكلات ، باعتبارها لغة عامة تستخدم في المدارس للتمهيد لتعلم لغات اخرى .

ولقد شاعت هذه اللغة ، خاصة في العصر الحديث ، شيوعا كان غير منتظر لهذه اللغة

الناشئة . ففي عام ١٩٤٨ ، بلغ عدد المؤلفات التي كتبت بلغة الاسبرانتو ، او التي بحثت في موضوع هذه اللغة ٧٩٥٠ مجلدا .. اي ما يزيد على مؤلفات كثير من اللغات الطبيعية ! وضمت هذه المجلدات ، ترجمات الى لغة «الاسبرانتو» عن اكثر من ٦٥ لغة ، بالاضافة الى مؤلفات اصلية ، وكتب ادبية حديثة ، وكتب فنية تختص بكل مناحي الفكر والمعرفة ، وهناك نحو ١١٠ صحف تصدر في جميع انحاء العالم بلغة الاسبرانتو ، وكثير من محطات الاذاعة ، تذيع برامجها بهذه اللغة . وكانت نشرات الانباء تذاع على الموجة القصيرة عام ١٩٤٨ بلغة الاسبرانتو من كل من : براغ : مرتين في اليوم ، باريس : يوميا ، بون وصوفيا : مرتين في الاسبوع ، والبرازيل وفيينا ووارسو : اسبوعيا ، وميونخ كل خمسة عشر يوما ، واستكهولم : شهريا . كما تذاع برامج تعليمية بلغة الاسبرانتو ، او برامج اخرى بهذه اللغة من كل من : الولايات المتحدة ، والبرازيل ، واستراليا ، وفرنسا ، وبلجيكا ، واسبانيا ، والسويد ، والدانمرك ، وألمانيا ، والنمسا ، والمجر ، وتشيكوسلوفاكيا ، وبولندا ، ويوغسلافيا ، وبلغاريا ، وسويسرا .. كما تصدر في امريكا صحيفتان للمكفوفين بطريقة «برايل» تستخدمان هذه اللغة .

كذلك يجري تعليم لغة الاسبرانتو في كثير من المدارس والكليات والجامعات الخاصة والعامة في جميع انحاء العالم . ففي نصف العالم الغربي ، نجد لهذه اللغة بوجه خاص ، شعبية كبيرة في : الولايات المتحدة وكندا والبرازيل والارجنتين وأورجواي . ويتضح ذلك جليا ، حينما وقع ٤٢ من اساتذة الجامعات الحاليين والسابقين في الولايات المتحدة ، وكندا ، وبورتوريكو ، عريضة يحثون فيها كليات الجامعات على تخصيص محاضرات لدراسة لغة «الاسبرانتو» ، التي اصبحت من بين المحاضرات الصباحية في خمس عشرة جامعة وكلية ، في الولايات المتحدة ، وكندا ، عندما توافر المدرسون المؤهلون لتدريس هذه اللغة داخل هذه الجامعات .

ومما يستحق التسجيل ، ان مؤتمرات لغة «الاسبرانتو» السنوية ، اجتذبت ألوفا من الوفود من جميع انحاء العالم . فقد حضر مؤتمر «نورنبرغ» عام ١٩٢٣ وفود يبلغ عددها ٤٩٦٣ يمثلون ٤٣ دولة . وأكدت محاوراتهم التي دارت بلغة الاسبرانتو ، كيف يمكن للغة «الاسبرانتو» ان تتخطى عقبات اللغات الاخرى ، وما نشأ عنها من لبس وسوء فهم وغير ذلك ، فقد استخدمت لغة الاسبرانتو بصورة او باخرى ، في اكثر من ٧٣٠ مؤتمرا دوليا ، وكانت هي لغة الترجمة الوحيدة في المؤتمر العالمي الذي عرف باسم «السلم من خلال المدارس» وكان ذلك في براغ عام ١٩٢٧ . كما استخدمت في مؤتمر السلام بين الاديان الذي عقد في «لاهاي» عام ١٩٢٩ . وتقرر كذلك ان تكون لغة الترجمة الوحيدة في مؤتمر عالمي عقد حول مشاريع التنمية السياسية والاقتصادية والثقافية في مايو من عام ١٩٤٨ في مدينة باريس .

ولقد لقيت كتيبات لغة الاسبرانتو ، التي لا يزيد وزن الواحد منها عن خمس اوقية ، ويحوي قواعد اللغة ، وبعض التمارين المبسطة ، ومفردات تزيد على ٢٠٠٠ كلمة ، نجاحا كبيرا في مجال التخاطب والمراسلة الدوليين ، كما نشرت هذه الكتيبات بتسع وثلاثين لغة منها : الافركانية ، والالبانية ، والعربية ، والبلغارية ، والتشيكية ، والدانمركية ، والهولندية ، والانجليزية ، واليابانية ، والنرويجية ، والايرانية ، والبرتغالية ، والروسية ، والصربية ، والاسبانية ، والاوكرانية .

وهناك عدد كبير من الصحف العلمية ، تنشر ملخصات لمقالاتها بلغة «الاسبرانتو» حتى يستطيع الباحثون الاجانب التعرف على نقطها الجوهرية ، غير صحف طبية تسير على ذات النهج ، تصدر في باريس ، ومجلات احصائية وجغرافية في البرازيل ، ومنشورات طبية وكيماوية في اليابان ، وسلسلة خاصة بعلم الحيوان في النرويج . كما تصدر في الدانمرك مطبوعات بهذه اللغة ، تختص بعلم التصوير .

هذا بالاضافة الى ان لغة الاسبرانتو قد استخدمت خلال الحربين العالميتين الماضيتين للدعاية السياسية والنشرات السرية والاعلان ، وأعمال الصليب الاحمر ، ومعتقلات اسرى الحرب .

ولعل من النجاح العجيب ، ان تتعدى لغة «اسبرانتو» هذه الميادين ، وتسهم في اعمال انسانية بحتة . ففي سنة ١٩٤٥ ، استضافت الاسر التي تتحدث بالاسبرانتو في الدانمرك وسويسرا ، الاطفال الذين لا يعرفون غير هذه اللغة من اهالي «هولندا» التي اجتاحتها المجاعة آنذاك ، فكانوا موضع الاعجاب ، وسفراء غير رسميين في العمل على اشاعة هذه اللغة عندما عادوا الى موطنهم ، غير ذيوع خبر الاستضافة في المؤتمرات والمحافل الدولية ..

وبعد ، فهل لغة الاسبرانتو ، اثبتت ما لها من قيمة عظمى ، وحققت الغرض منها ، وكانت اعظم جواز سفر ، يمكن ان يحظى به انسان خلال اجتيازه الدول التي اجتاحتها ويلات الحرب العالمية الثانية ؟؟ ام انها لغة لا يكتب لها الثبات والنجاح والصمود امام اللغات الحية التي تأصلت جذورها ، واتت اكلها في جميع انحاء العالم ..؟؟

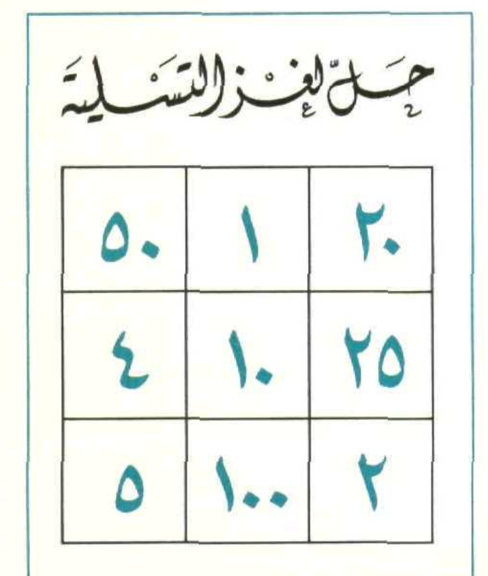
هذا ما اتركه لعلماء اللغات والباحثين في ابعاد الأرض ، عسى ان يكون لديهم الرأي الصائب والفكر الثاقب .

كتب مهداة

* اهدى الينا الاستاذ صلاح البكري نسخة من كتابه «اتحاد الجنوب العربي» . والكتاب بحث قيم عن دويلات الجنوب العربي ومزين بالصور والخرائط .

* كما اهدى الينا البحاثة الاستاذ محمد عبد الغني حسن نسخة من كتابه «عبدالله فكري» في سلسلة «اعلام العرب» . وقد تناول المؤلف في كتابه هذا عرضا وافيا لسيرة العلامة الراحل عبدالله فكري .

* كما اهدى الينا المربي الكبير الاستاذ عمر عبد الجبار مؤسس مدرسة «الزهراء» للبنات في مكة العدد الاول من مجلة الزهراء التي تصدرها المدرسة ويشترك في اعدادها لفيف من الطالبات الناشئات السعوديات . والمجلة تبحث في مختلف الميادين الفكرية والثقافية والدينية .



قصة قصيرة

العاصفة

اللباد

بقلم الاستاذ احمد فؤاد نيمور



للكراهية دواع وعلل متى تجمعت صبت نقمتها في عنف وجبروت كالاعصار الجارف لا يقف دونه سد .

كانت هذه الحقيقة تنسج خيوطها متكاملة في نفس الحوذي «زعتر» ملهبة فيها نار السخط ، حين انكفأ على حافر حصانه «العاصفة» يمسك به ، متفقدا ما اصابه من جراح ، فلم يتمالك الجواد ، وجعل يضرب الهواء بقوائمه وهو يحمحم من وجع أليم .

ورفع الحوذي رأسه ، مغضن الجبين ، اذ بان له الا امل يرجى في برء حصانه من جرحه الخبيث ، فطفق يربت ظهره في اشفاق وحنان ، مجاهدا الدموع المتصاعدة الى مآقيه ، على حين تشاغلت يمينه بأعواد الدريس ، تنثرها بيأس ، أمام الجواد الكسير .. ثم ما لبث ان عانق حصانه مجهشا بالبكاء كطفل غرير .

وكأنما قد شق على «العاصفة» ان يشهد الحوذي منهمرة دموعه ، فلوى عنقه يصدف عن علوفته وهو يصهل مرعش الأوصال محموم النظرات .

وطفق الحوذي يغالب دموعه ، وهو يربت في رفق على ظهر «العاصفة» ، ولكن «العاصفة» كان يهز رأسه متنكرا لطعامه وكأنه يأبى مرآه . فعدل عنه الرجل الى كومة الهشيم التي يفترشهـا بجوار حصانه ، يتمـدد عليها ، ثم اخرج علبة التبغ يسوي منها لفافة ، الا انه ما ان احتبسها بين شفتيه حتى راح يعقد ذراعيه خلف رأسه وهو يرقب سحائب الدخان المتصاعدة امام ناظريه ، كأنما ينفث فيها من صدره بخار حقد كظيم . فألفى نفسه تنفجر غضاضة لما يكابده على مدرجة الطريق ، من ارهاق السيارات ومنافستها له ، ولا يكاد يتخيل الزحمة حتى يجأر

بالشكاية من راكبي الدراجات ، في حرقة وألم ... هم نفر من خلق الله لا يحسنون في يومهم الطويل الا التجني على القانون غير آبهين بيد الشرطي الرادعة ، ساعة يرفعها مشيرا بها اشارته الحاسمة ، وهو يتوسط مفرق الطرق ، في زيه الرسمي ، حاميا من فوضى التزاحم ، مفيئا عليه نعمة النظام .

فلم تلبث الحركة على الأثر ان تتبلد في اتجاه الشارع الذي صدرت الاشارة المانعة اليه ، على حين يضطرب الاتجاه المقابل بمن يدرج عليه ، والشرطي في حماسه يلوح مبيحا المضاء والسعي .

وتأنس عين الشرطي هؤلاء النفر على دراجاتهم ، غادين رائحين ، يتجاهلون ما له من امرة وحزم ، فان اومأ اليهم ايماءة التوقف اسرعوا في جد واصرار ، يتخطون الشارع في الاتجاه المحذور ، غير عابئين بما يموج به من حركة ، وما يترتب على تهورهم هذا من اخطار وحوادث .

واتفق للحوذي «زعتر» ان لمح يد الشرطي في قفازها الابيض ، تلوح له ، مبيحة الوجه الذي يسير فيه ، حين انهى شوطه في شارع صاخب ، من شوارع المدينة ، وشارف يؤم ميدانه المتضايق . فأسرع الى «العاصفة» يحث خطاه ، ملهبا ظهره بسوطه اللولبي ، ومن ثم شرع يقطع مفرق الطرق ، متيقظ النظرات ، وقد جمع العنان اليه يملأ به قبضته ، وعلا صوته في غمرة الزحام ينبه الغافل ، ويوقظ الساهي ، ماضيا بمركبتــه الى سبيله المرسوم .

وأوشك الميدان ان ينتصف به حين باغتته دراجة يسوقها غلام فج مغرور ، مرق امام حصانه مروق البرق ، متعديا الاتجاه المحذور غير آبه بيد الشرطي المانعة .

وشرد «العاصفة» وتملكه اضطراب ، امـا الحوذي فأقبل على العنان يشده في احكام ، مبتغيا السيطرة على حصانه ، متفاديا الخطر المحدق . فاذا بالجواد طريح الارض ، وقد تعثرت خطاه باطار الدراجة ، ملتوية ساقه ، يستبين فيها جرح بليغ .

وسارع الحوذي ينزل عن مقعد القيادة ، وأقبل على الطريق يتوخى ذلك الغلام الفج بهبة من غضب غائم النظر ، يتوعد ، فلم يلحق بظله حيث ابتلعته الزحمة وكأنه كما يجري به المثل : «فص ملح ذاب» .

وارتد الرجل الى جواده عاقدا ما بين عينيه ، وانكب عليه ، يقيله من عثاره ، فجابهه الحصان بنظرة محزونة وهو يجاهد يائسا ان يصلب عوده ويعاود الوقوف على قوائمه .

وتحلقت دونه جمهرة من السابلة ، لا تحسن من وقفتها الا التفرج ، ولا تحزم من امرها الا الانقسام ، فئة تشايع ، وفئة تخاصم وثالثة تتذبذب بين هؤلاء وهؤلاء .

ضاق الميدان بما حدث ، فجمدت فيه الحركة ، وانطلقت ابواق السيارات محمومة . اما سائقوها فعلت اصواتهم بالشكاية والتذمر ينكرون على مركبة الخيل العيش والبقاء .

ثم أقبــل الشرطي شاقاً الطوق المتجمهر ، ووقف عن كثب يرقب الجواد الطريح ، محمرة حدقتاه ، يكثر من الاشارة ، ويصدر الأوامر ، وهو منكب على دفتره يدون ما شاهد ورأى ، يرجف أنفه ، ويتراقص شاربه لما ساد الميدان من اضطراب وفوضى .

تتابعت تلك المناظر في مخيلة الحوذي ، وهو على كومة الهشيم ، ينفث دخان لفافته ، ويتقلب على جنبيه لا يفتر له زفير .

واذ هو كذلك ، عرته نوبة من سعـال ، هزت عوده الضامر ، وزلزلت كيانه القميء .

وجابهه «العاصفة» بحدقتين ، يترسل منهما وميض تقرأ فيه علامات اللوعة والأسى ، وكأنه تناسى اوجاعه بما شغله به صاحبه الحوذي من سعال موصول .

واجتمع الرجل بأمسه ويومه في لوحة ، تنافرت نقوشها ، ابى مرقم القدر ان يوحد بينهما في اشراقة الألوان .

اقبل عليه امسه في بشاشة ، حين كان في زهرة العمر ، وعنفوان الشباب ، مستويا على مقعد السياقة ، وقد جمع العنان في قبضته ، يحث جواده الى قلب المدينة ، حيث لا زحمة ثمة ولا صراع .

لم يكن السبيل يأنس على مدرجته الا قليلا من مركبات تؤمه متفاخرة بجيادها في رواح وغدو ، ولم يكن يألف من قصاده الا خطوات هيابة ، تحجم بأصحابها عن مواطىء الشر ومواطن الخطر .

كان الطريق ، خاليا او شبه خال ، له فيه الصدارة بين الذين يسلكونه ، يهنأ بعيش راغد ، وكسب موصول .

اين يومه من أمسه ؟!

لقد انقلبت تلك الخطوات المتهيبة خطى متجاسرة ، لا تبالي ما يكون من اذية وشر ، بل تزج بأصحابها في قلب الطريق ، تزاحمه بهم في غير حيطة او حذر .

ان الحوذي ليشقى بما استحدثه ذلك العصر المتهور ، من بدعة في صناعة من الحديد محمومة ... سيارات رعناء ، تنبعث معه على الطريق ، منتهبة انتهابا كأنما يطارد بعضها بعضا ، في جسارة واقتحام . ودراجات ، هي بأصحابها ذباب الطريق ، تتطاير على مدرجته ، مجلبة للفوضى ، ومصدراً لكل شر .

ولقد تزلزل عرشه ، وأصبح ظله يتقلص رويدا رويــدا ، الى ان خرج ذلك الغلام الفج ، يقضي عليه القضاء المبرم ، يسرق منه لقمة العيش ، ويلقي به الى الفاقة والتسكع ، ويسلمــه الى بكاء عــلى حصانه الصريع ، الذي كـــان له في الحياة عونا وسندا .

وبدرت من الرجل نظرة يائسة الى «العاصفة» ، واشرأب يناجيه في صوت حنون لين ، كأنه يحاول جاهدا ان يخفي عنه ما ألم به من كآبة ومضض :

ايه ايها «العاصفة» في غد نعاود معا العيش والسعي !

وصهل «العاصفة» يهز رأسه كأنما انكر ما سمع . وألفى الرجل الدموع تتصاعد الى مقلتيه . ولوى عنقه يجاهد حسرته ، واذا بأنظاره تتعثر بمركبته المعطلة ، في ركنها المعتم القصي ، عابسة الوجه ، مكفهرة السحنة ، مطبقا عليها صمت . فتمهل يطارحها النظر ، كأنه يواسيها فيما امتحنها به القدر .

وخيل اليه ان ذلك الحطام الملقى يضطرب ، وقد سرت في اوصاله رعدة اليأس ، وانطلق من صمته يوسوس له :

لقد ولى عهدنا ، ولم يعد له رجوع ... ما أنا الا ركام ، مصيره ان يكون طعمة للحريق ... انطفأت شعلة «العاصفة» الى الأبد !

فازور الحوذي عن المركبة ، وقد شعر بأن الجدران تتهاوى عليه ، فلاذ بكومة الهشيم ، يواري فيها رأسه ، ويندبها بدمع سخين .

وفي الصباح الباكر ، عندما لاحت بوارق الشفق في عرض الافق ، وتسللت خيوطه الضاحكة الى الحظيرة ، من الكوة الضيقة ، تعثرت «بالعاصفة» جثة هامدة ، وقد غاض اشراقه ، وخمدت انفاسه .

وصدر الحوذي «زعتر» عن الحظيرة ، شارد الفكر ، تتيه به قدماه لا يدري الى اي مصير هو مسوق .

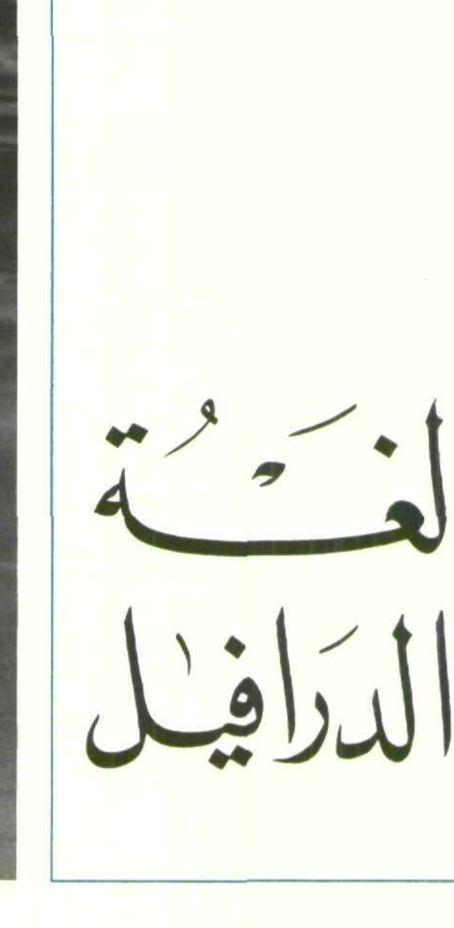
وتقاذفت به المسالك الى شارع واسع ، من شوارع المدينة ، متخوم بقصاده ، فمضى يمخر ذلك العباب من السابلة .

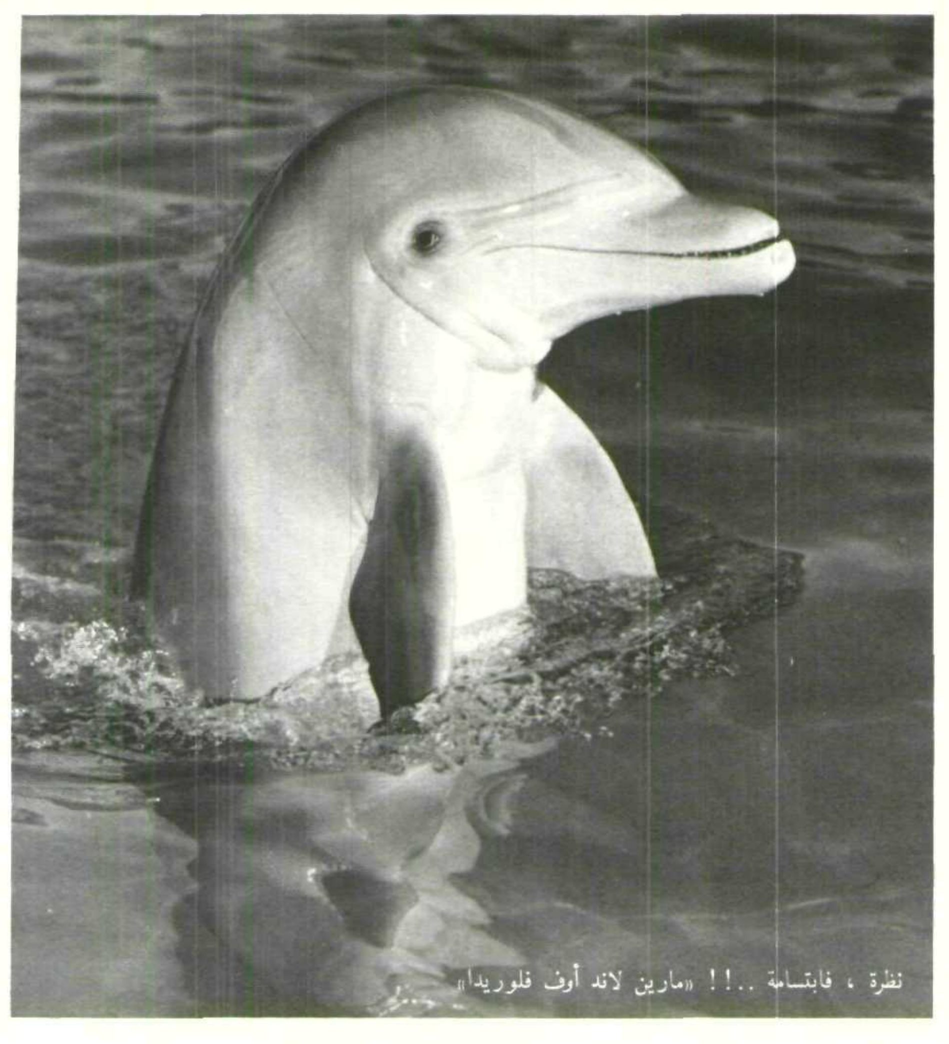
ولم يلبث ان احس بتلك الموجة البشرية ، تضطرب قاصدة به الى مفرق طرق .

وتدفقت تلك الموجة الزاخرة بالناس ، صوب المفرق تغزوه ، فسعى هو بينهم على غير هدى ، واذا بسهم يمرق امامه ، يكاد يخترقه ، وأحس بأن ساعديه تمتدان اليه ، توسعانه طعنا وطحنا ، وانحنت قدماه على الدراجة تهشيما وتحطيما .

وسرعان ما تخايل له وسط الزحام رأس حصانه «العاصفة» يرنو اليه بعين تنبعث منها نظرات حسرة وانكسار .

فما تمالك الحوذي ان احتد وعنف ، والزبد يفور على شفتيه ، والشرر يتطاير من حدقتيه ، والناس حلقة حوله ، يحدقون به ويتطلعون اليه .




نظرة ، فابتسامة ..!! «مارين لاند أوف فلوريدا»

منذ سنوات خلت ظهر في خليج «هوكيانغا» الواقع على الشاطىء الشمالي من جزيرة نيوزيلنده ، درفيل لعوب تعلو وجهه الابتسامة ، ويلهو بكرة على سطح الماء . فأخذ السباحون يعاكسونه ويربتون على ظهره ، حتى ان فتاة صغيرة منهم امتطت متنه . بيد ان هذا كله ، لم يثن الدرفيل عن الصفير والصداح الذي اصبح ، في الوقت الحاضر ، موضوع بحث علمي يثير الدهشة والاعجاب .

وبموجب اتفاقية وقعها كل من الدكتور «جون دراهر» والسيد «وليم ايفير» من شركة «لوكهد» في ولاية كليفورنيا مع بحرية الولايات المتحدة الامريكية ، قام المذكوران باجراء دراسة على الدرافيل ذات الانوف القارورية الشكل . فكانت ثمرة دراستهم تسجيل ٣٢ نموذجا من صفير هذا الحيوان .

اما الدكتور «جون ليلي» من معهد ابحاث المواصلات في فلوريدا ، فقد تبين له ان الدرفيل في بعض الاحيان يحاول تقليد صوت الانسان . وقد قلد الدرفيل صوت الدكتور «ليلي» بشكل جعل السيدة «ليلي» التي كانت تساعد زوجها في هذه التجربة تضحك بملء فيها . وقد كان اعجابها اكبر عندما حاول الدرفيل ان يقلد ضحكها ايضا .

الدرفيل في رأي القدماء

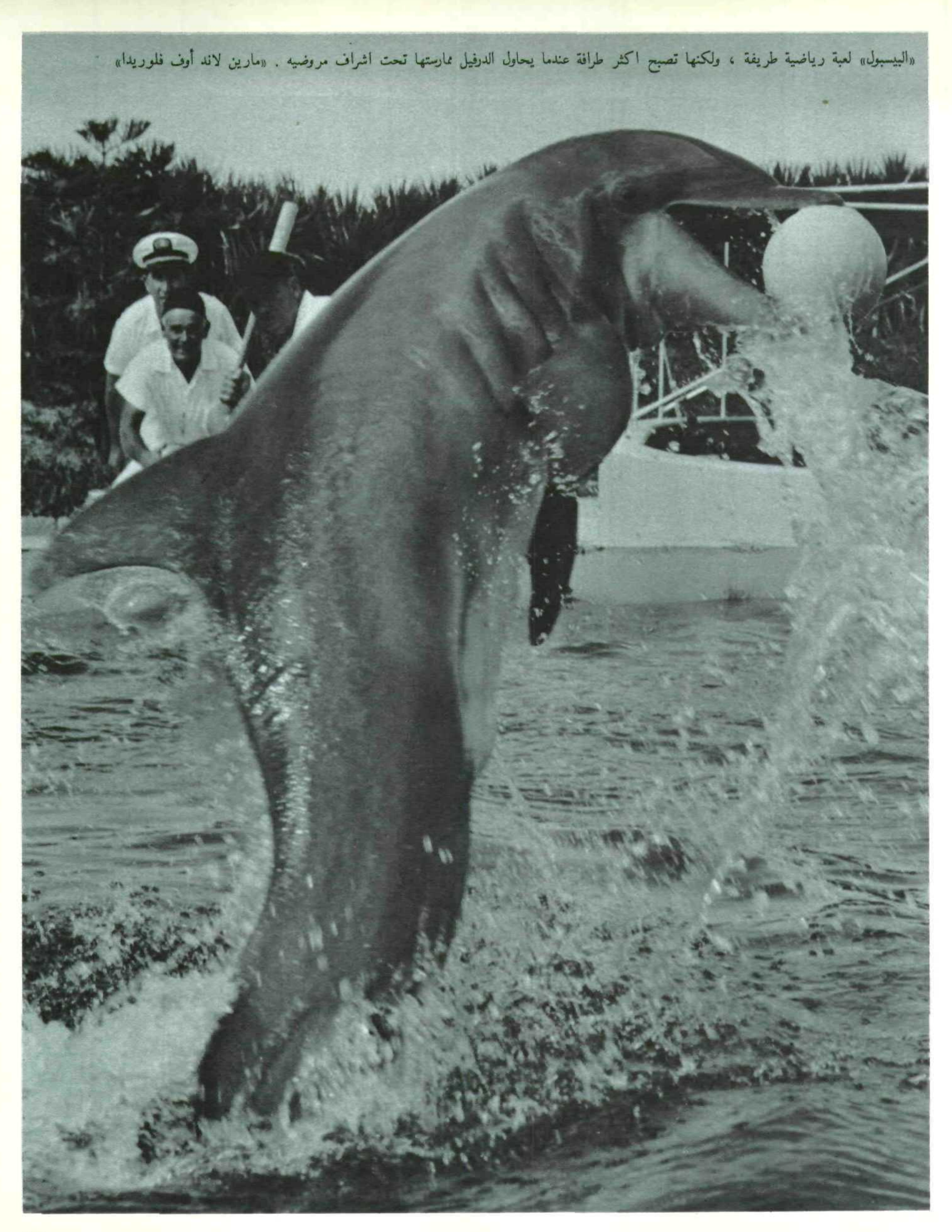
منذ العصرين اليوناني والروماني عرف الانسان ان الدرفيل يستطيع الصفير والصداح ، والمواء والصرير ، والعواء ، والصراخ . وقد كتب ارسطوطاليس انه عندما يرفع الدرفيل من الماء يحدث صياحا وأنينا يملأ الآفاق . اما (بلينوس الاكبر) ، العالم الروماني ، فقد قال : «ان الأنين الذي يحدثه الدرفيل يشبه تمام الشبه انين الانسان» .

ويقال ان هذه الاصوات التي يحدثها الدرفيل والشبيهة «بأصوات الطيور» و «نباح الكلاب» ، او ما شابه ذلك ، ما هي الا مناقشة حادة مع رفاقه ، في مسألة معقدة . وهنا يتبادر للذهن هذا السؤال : هل الدرافيل حقا تحاول احيانا التكلم مع الانسان ؟

وقد تولى الاجابة عليه العلماء في مختلف بلدان العالم ، كالولايات المتحدة الامريكية وايطاليا واليابان .

الدرفيل حيوان ذكي

يعتبر الدرفيل اذكى الحيوانات اطلاقا باستثناء الانسان . فعقل الدرفيل المتوسط الحجم يزن ٣،٥ ارطال ، بينما يبلغ وزن عقل الانسان ٣،١ ارطال ، وعقل الشمبانزي ٠،٧٥ من الرطل . بيد انه يوجد فارق كبير في اوزان اجسام هذه الحيوانات الثلاثة . فالدرفيل مثلا ، يزن ٣٠٠ رطل بينما يزن الانسان ١٥٠ رطلا ،



«البيسبول» لعبة رياضية طريفة ، ولكنها تصبح اكثر طرافة عندما يحاول الدرفيل ممارستها تحت اشراف مروضيه . «مارين لاند أوف فلوريدا»

اما الشمبانزي فيزن ١١٠ ارطال .

ويروي قباطنة السفن وبحارتها قصصا عديدة تدل على ذكاء الدرافيل ، واهتمامها بالانسان . وتشير اساطير اليونان الى ان الدرافيل ساعدت بعض الغرقى على الخلاص والوصول الى شاطىء الامان . وفي مستهل القرن الحالي ، روي ان درفيلا شهيرا يدعى «بالوراس جاك» كان يستقبل ويرافق جميع السفن التي تمر عبر مضيق «كوك» الواقع بين جزيرتي نيوزيلندا الرئيسيتين .

والدرفيل سريع التعلم . وقد روى الدكتور «ليلي» ان احد الدرافيل التي كان يجري عليها تجاربه ، استطاع ان يتعلم كيف يضغط على احد الازرار دون سواه ، اثر عدة محاولات في تدريبه ، بينما لم يستطع القرد الضغط على الزر المطلوب الا بعد مائة محاولة . وتتقن الدرافيل الالعاب الكثيرة مثل القفز عبر الحلقات ، ولعبة كرة السلة ، وحمل العصي من احد جوانب البركة الى الجانب المقابل ، وخلاف ذلك من الالعاب الاخرى . وللدرفيل روح مرحة ونفس تنزع الى اللعب ، فتراه في بعض الاحايين يمازح طير بحر بسرقة ريشة من ريشه ، او يداعب سلحفاة بقلبها رأسا على عقب . ومن دعابات الدرفيل ايضا انه يضع قطعة من الطعام بالقرب من احدى فجوات الصخور ، ويجلس يراقبها ، حتى اذا ما خرجت احدى الاسماك لالتهامها اختطفها من امامها ساخرا ضاحكا .

والدرافيل مخلوقات عاطفية جدا . ففي «ماريلاند» ولاية لوس انجلوس الامريكية ، اضرب درفيل طوله ١٨ قدما عن الطعام ، وشرع يؤذي الدرافيل الصغيرة التي تقترب منه . فقرر الاستاذ «دافيد براون» الخبير بعلم الحيوانات الثديية ، ان يعالج هذا الدرفيل نفسيا . فأفرغ الماء من الخزان الى علو ثلاثة اقدام عن سطح الارض . وما ان فعل ذلك حتى اخذ الدرفيل يصرخ ويستغيث . فاجتمعت الدرافيل حوله ، وأخذت تسكن روعه بكلماتها المطمئنة . بعد بضع دقائق ، اعيد ملء الخزان من جديد ، فتبين للدكتور براون ان تصرفات الدرفيل قد تحسنت ، وانه قد اقلع عن ايذاء رفاقه .

زقزقة وصرير

تبين للعلماء ان الدرافيل تستعمل اصواتها لغرضين :

١ – للتخاطب : ومما يعتقد ان الصداح والزقزقة والصفير التي عرفت عن الدرفيل منذ اقدم العصور ما هي الا لغة يستعملها لمخاطبة الدرافيل والحيوانات الأخرى .

٢ – للتحري : هنالك اصوات عالية معينة مثل الصرير والصليل تستعملها الدرافيل للتحري عن الاجسام بالصدى فتتجنب بواسطتها العقبات المعترضة تحت الماء ، وتهتدي بها الى مواقع الطعام .

ويظن بعض العلماء ان الدرافيل تتحدث فيما بينها . ففي عام ١٩٦٢ ، كان الدكتور دراهر والسيد ايفنز على ظهر سفينة ابحاث تدعى «سيكواست» ، على بعد ٣٠٠ ميل من «سان دياغو» . وكانت مهمتها الاساسية دراسة «حوت» كاليفورنيا الرمادي . فقاموا بصنع حاجز من قضبان الالمينيوم ضمن مستنقع «سكامون» . وفجأة ظهرت خمسة من الدرافيل ذوات الانوف القارورية الشكل ، على بعد ٥٠٠ ياردة من الحاجز . وقد التقطت سماعات الصوت صفير هذه الدرافيل وهي تتحدث لدى اقترابها منه . بعدئذ انطلق كشاف من الجماعة باتجاه الحاجز ، وبعد ان تفقد الاعمدة جيدا ، راح يتبادل واياها الصفير فاطمأنت الدرافيل الى عدم وجود خطر من هذه الاعمدة ، وهكذا سبحت جميعها عبرها بسلام .

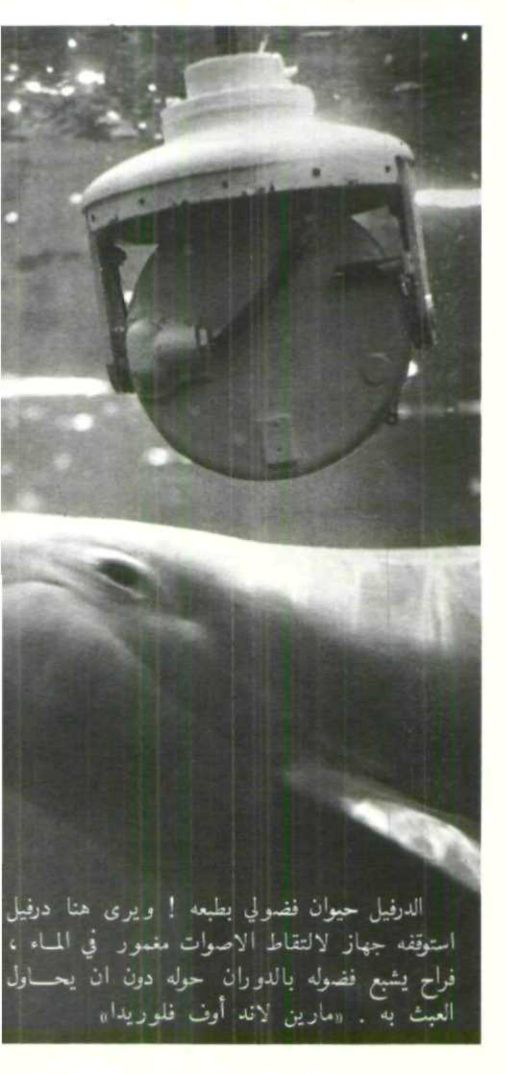
صيحات تشبه صوت الانسان

ربما كان الدكتور «ليلي» هو اكثر من عمل على كشف النقاب عن غوامض حديث الدرفيل . فمنذ اواسط القرن الحالي وهو يجري سلسلة من التجارب تبين له فيها ان الدرافيل تحدث اصواتا شبيهة بأصوات الانسان ، وقد اطلق على هذه الاصوات اسم «الصيحات شبه الانسانية» . بيد انه توصل الى جعل الدرافيل تحاول الكلام عن طريق المكافأة . فكان هو او احد مساعديه ينادي بكلمة او عدة كلمات على سطح الماء ، فيرفع الدرفيل رأسه من الماء ويجيب بكلمة وأحيانا ببعض كلمات – وينال في كل مرة يرد فيها على الصوت ، سمكة طازجة .

وقد حرص الدكتور ليلي على تسمية هذه التجارب باسم المحادثة الحقيقية بين الانسان والدرفيل . وقد دلت هذه التجارب على ان ١٠ في المائة من الصيحات التي يطلقها الدرفيل شبيهة الى حد ما بكلام الانسان . وقد قال الدكتور انه حتى الآن لم يستطع التمييز بين ما هو غريزي وما هو ليس بذلك من هذه الاصوات ، وقد يحتاج الامر الى ٢٠ سنة او أكثر ليتمكن من الوصول الى الجواب الشافي .

واول دليل على ان الدرافيل تملك جهازا صوتيا لاستقصاء الاجسام يمكنها من معرفة مسافة الاجسام وبعدها وتركيبها ، امكن التوصل اليه في اواسط الخمسينات من القرن الحالي . فقد قام احدهم بنصب شباك لاصطياد الدرافيل في شواطىء فلوريدا . ومع ان المياة كانت عكرة ، الا ان الدرافيل استطاعت بسهولة تجنب الشباك التي كانت منصوبة لها . وكلما كانت فتحات الشباك اصغر ، كلما كان تجنبها على الدرافيل اسهل .

ثم بعدئذ قام باحث آخر بالبحث عن الاسباب ، فجفف احدى الشباك في الشمس ، وألقى بها في الماء ، فخرج منها فقاقيع هواء صغيرة ، فاستنتج من ذلك ان الدرفيل يتلقى صدى ارتطام الشبكة بالماء من خلال هذه



الدرفيل حيوان فضولي بطبعه ! ويرى هنا درفيل استوقفه جهاز لالتقاط الاصوات مغمور في الماء ، فراح يشبع فضوله بالدوران حوله دون ان يحاول العبث به . «مارين لاند أوف فلوريدا»

الفقاقيع ، وبذلك يستطيع تجنب الشرك . وفي الوقت نفسه تشير المعلومات الى ان الدرفيل بالاضافة الى كونه حيواناً اجتماعياً ذكياً ، لديه جهاز صوتي مدهش لاستقصاء نوعية الاجسام اذا ما اعترضت طريقه .

حاسة سمع حادة

تبين للباحثين ان الدرفيل يملك حاسة سمع حادة جدا تفوق بكثير حدة سمع الانسان وتدخل في نطاق «ما فوق السمع» ففي الوقت الذي تبلغ فيه قوة سمع الانسان ٢٤ «كيلوسيكل» تبلغ قوة سمع الدرفيل ٨٠ «كيلوسيكل» او اكثر . وعندما وضعت سماعات تحت الماء سمع صراخ الدرافيل وصداهم ، الا انه سمع بالاضافة الى ذلك اصوات غريبة اخرى تشبه صرير الباب او المنشار ، هذه الاصوات هي موجات الصوت التي يطلقها الدرفيل ليتحرى بها بُعْد الاجسام المعترضة تحت الماء (Sonar beam) .



مع كل ما يبدو على الدرفيل من سيماء البراءة تراه اذا ما داهمه الخطر قويا باسلا يستطيع التغلب على اشرس سمكة قرش وأضخمها . «مارين لاند أوف فلوريدا»

سباق وراء لقمة العيش . «مارين لاند أوف فلوريدا»

وفي تجربة اخرى من هذا القبيل برهن احد العلماء ان الدرفيل يستطيع تحديد الممرات تحت الماء خلال الحواجز ، واكتشاف الاجسام الصغيرة الغارقة في الماء ، والتفريق بين حجم سمكة واخرى . كما برهن ايضا ان الدرافيل تستطيع السباحة حتى ولو غطيت عيونها بقطع من المطاط ، اعتمادا على اطلاق بعض الاصوات وتحليل صداها بواسطة اجهزته الخاصة .

اما كيف يتلقى الدرفيل الصدى ، فيقول احد العلماء ان الدرفيل له اذنان مدفونتان في رأسه ، وعصب سمع ضخم جدا . وهكذا يتمتع الدرفيل بقوة سمع هائلة تخوله سماع بعض الصفير والصرير رأسا بأذنيه . بيد ان احد العلماء يظن ان الدرفيل يستخدم فكه بمثابة هوائي يلتقط به الاصوات التي هي فوق مستوى سمعه (Ultrasonic sounds) . اذن يمكننا القول بان الدرافيل تتكلم بهامتها وتسمع بفمها .

وجهاز تقصي الاصوات الداخلي الذي يملكه الدرفيل له ميزتان اثنتان يحاول الانسان ادخالهما على جهاز تقصي الاصوات الذي لديه . فمعظم اجهزة تقصي الاصوات التي لدى الانسان تستعمل الانغام الصافية ، بينما الدرفيل يستعمل مزيجا من الاصوات ذات الذبذبات المرتفعة والمنخفضة . وميزة الموجات الصوتية ذات الذبذبات المرتفعة انها تعكس معلومات ادق . ان الدرفيل ايضا يستطيع توجيه الامواج الصوتية حيثما اراد بعكس الاجهزة التي هي صنع الانسان والتي تفتقر الى هذه الميزة . وهنالك حقيقة ممتعة اخرى ، وهي ان احدا لا يستطيع التشويش على جهاز الدرفيل السمعي . فقد اطلقت موجات صوتية اعتقد العلماء انها شبيهة بالموجات الصوتية التي يرسلها الدرفيل داخل خزان ، قصد منها التشويش على سمع هذه الحيوانات ، الا ان الدرافيل سارت في طريقها بانتظام كأن شيئا ما لم يحدث .

ترويض الدرفيل

مثلما ساعد الكلب او الحصان الانسان في غزوه للارض كذلك يحتمل ان يساعده الدرفيل في غزوه للبحار . فاليوم الذي سيستطيع فيه الدرفيل تحديد مواقع السفن الغارقة ، او وضع الاجهزة العلمية تحت الماء في المكان الذي يأمره به الانسان ، لم يعد ببعيد . وذلك نظرا للنجاح الذي احرزه علماء جامعة كلفورنيا العاملين في «اوهو» احدى جزر «هاواي» ، فقد قام احدهم وهو الدكتور «كانيت نورس» بنقل احد الدرافيل المدربة الى البحر واختباره مدة سبعة ايام . ومع ان الدرفيل كان باستطاعته ان يهرب ويصحب قطيع الدرافيل البرية بسهولة ، غير انه كان في كل ليلة يعود للمبيت في قفص سلكي وضع له تحت الماء . واثناء وجود الدرفيل طليقا في الماء ، كان الدكتور المذكور يستطيع تحديد تحركاته بواسطة اشارات صوتية تحت الماء . وهذا الدرفيل الذكر الذي اجريت عليه التجربة يدعى كيكي (اي الولد بلغة اهل هاواي) . وقد قبض عليه في اوائل عام ١٩٦٤ ، في البحر على بعد من شاطىء جزيرة اوهو . وأسوة بالدرافيل الاخرى ، كيّف كيكي نفسه بسهولة بعد إلقاء القبض عليه . ثم جرى تدريبه على الاستجابة للصفير . وكان كل مرة يجيد الاستجابة فيها ، يتلقى طعاما دسما مكافأة له على ذلك .

وبدا على كيكي الخوف ، عندما انزل ثانية الى البحر . وقد علق على ذلك الدكتور نورس بأن الدرافيل المحتجزة عادة تخاف من الاوضاع غير المألوفة لها . وهو يعتقد ان هذا هو السبب الذي جعل كيكي يعود الى قفصه كل يوم . والسبب الآخر المحتمل هو ان كيكي قد اعتاد على نوع الطعام الذي قدمه اليه العلماء . فالدرافيل المحتجزة غالبا ما تصبح معتادة على نوع معين من الطعام دون الانواع الاخرى .

الروابط الاجتماعية

وقد يكون سبب عدم هروب كيكي ، راجعا الى الروابط الاجتماعية التي نمت بينه وبين العلماء . فالدرافيل حيوانات جد اجتماعية تتألم كثيرا اذا ما عزلت . واثناء مدة التدريب ، كان العلماء يقضون حوالي ساعة يوميا يسبحون فيها مع الدرافيل . ويقول الدكتور نورس ان كيكي اصبح أليفا بسرعة وحاول بشتى الطرق ملامسة العلماء وممازحتهم (وغالبا ما تلامس الدرافيل بعضها البعض بزعانفها) ، وقد تجاوب العلماء لمداعبات كيكي بتربيتهم على ظهره اثناء اجراء تجاربهم او بعد الانتهاء منها .

من كل هذا ، يستنتج الدكتور نورس انه من الممكن تحميل الدرفيل المدرب المعدات العلمية ، واطلاقه بين الحيوانات البرية ومن ثم مراقبة تصرفاته وتسجيلها . هذا وربما يمكن استخدامه ايضا في البحار للقيام بأعمال مختلفة يلقنه الانسان اياها .

عن مجلة «ساينس دايجست»



واحد .. اثنين ... ثلاثة !! «مارين لاند أوف فلوريدا»



الترجمة عن النفس ، او الترجمة الذاتية ، لون من اصدق ألوان الادب وأكثره تشويقا وأبقاه اثرا في نفس القارىء . وكتبه ، لهذا السبب ، اكثر الكتب رواجا في العالم كله ، كما قرأنا في احصاءات عالمية اخيرة . والأدب الاوربي خاصة ، حافل بكتب التراجم الذاتية هذه ، وللأدباء والقراء في العالم الغربي عناية كبرى بها . وكل قارىء مثقف في العالم كله لا يجهل «اعترافات جان جاك روسو» او حياة «كازانوفا» ، ولا تلك الصور الحية التي لا تفارق مخيلة قارئها في كتاب «دافيد كوبرفيلد» لشارلز ديكنز . حتى «هيلين كيلر» كتبت قصة حياتها ، تلك القصة الرائعة العجيبة التي عاشتها — وما تزال تعيشها — عمياء صماء ، وهي — مع ذلك — حياة عظيمة حافلة . وكل هذه الكتب ترجمت الى اللغة العربية .

اما في الادب العربي : فقد بدأ الكتاب العرب ، في حوالي الثلاثينيات من هذا القرن ينزعون هذا النزع ويتجهون هذا المتجه ، بدأ الدكتور طه حسين هذا اللون من الادب ، في هذا العصر ، بكتابه «الايام» الذي نشر فصوله اولا في «مجلة الهلال» سنة ١٩٢٧ ، ثم اصدره كتابا في جزئين . ثم توالت كتب التراجم الذاتية في تواتر وكثرة ملحوظة ، فكتب الاستاذ احمد امين «حياتي» ، وكتب الاستاذ سلامة موسى «تربية سلامة موسى» ، وكتب الاستاذ توفيق الحكيم «سجن العمر» ، وكتب الاستاذ امين يوسف غراب «الليالي الطويلة» . ودخل الميدان اطباء ادباء منهم طبيب الاطفال الدكتور مصطفى الديواني الذي اصدر اخيرا «قصة حياتي» ، ونشرت فصول تحدث فيها الاستاذ «العقاد» عن بعض اطوار حياته في كتاب «انا» الذي جمعه ونشره الاستاذ طاهر الطناحي ، كما نشر العقاد ، في فترة مبكرة ، قصته المعروفة «سارة» التي لم ينكر بعد ذلك انه تحدث فيها عن بعض تجاربه العاطفية(١) .

وقد صنع الاستاذ طاهر الطناحي صنيعا جميلا حين استمع الى شخصيتين كبيرتين من شخصيات العرب في عصرنا الحديث يحدثانه عن حياتهما وتاريخهما ، ثم سجل ذلك ونشره في كتابين ، اما الشخصية الاولى فهي احمد لطفي السيد ، وقد صدرت ترجمته بعنوان «قصة حياتي» ، وأما الثانية فهي القانوني المشرع الكبير عبد العزيز باشا فهمي ، وقد صدرت ترجمة حياته تحت عنوان «هذه حياتي» .

وهناك من كتب ترجمته الذاتية في صورة قصة رمزية طويلة ، كما فعل الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازني في كتابه «ابراهيم الكاتب» .

(١) من كتب التراجم الذاتية الاخرى «حكاية عمر» للشاعر بولس سلامة ، و «سبعون» لميخائيل نعيمة وهو في ثلاثة اجزاء ، و «حياة طبيب» للدكتور نجيب محفوظ .

وقد حدثني الاستاذ الكبير «احمد حسن الزيات» قبل سنتين بأنه يضع كتابا في سيرته الذاتية اختار له عنوانا اسم «ذكرى عهود» ، اطال الله عمره حتى يمتعنا بهذا الكتاب وغيره من ثمرات قلمه الشاعر .

فاذا رجعنا الى ادبنا العربي القديم لنتفقد فيه هذا اللون من الادب ، وجدنا منه طائفة غير قليلة كتبها اعلام المفكرين العرب .. نجد «الغزالي» كتب بعض سيرته وشؤون حياته وبعض معاناته الروحية والفكرية في قسم من كتابه «المنقذ من الضلال» ، ونجد الفارس الشاعر الاديب «اسامة بن منقذ» — صديق صلاح الدين وشريك حروبه — يضع كتاب «المنازل والديار» يذكر فيه الديار والمنازل والربوع وما قيل فيها من القصص والأثر والشعر ، ويضمن ذلك ترجمة نفسه . كما ألف كتابه القيم «الاعتبار» الذي كتب فيه مذكرات شخصية (صور فيها تصويرا قويا حيا العصر الذي وجد فيه في حالتي الحرب والسلم) كما تقول دائرة المعارف الاسلامية ، اي مجتمع اهل الشام في فترة من فترات الحروب الصليبية وحياة صلاح الدين .

ونجد ابن خلدون يكتب بعض سيرته وتجارب حياته في الفصل الذي سماه «التعريف» من مقدمته المشهورة .

وفي كتاب «الخطط التوفيقية» نجد مؤلفه «علي باشا مبارك» يترجم لنفسه ترجمة رائعة تتسم بالصدق والصراحة ، وتصور كفاحه العظيم وصبره الطويل وشقاءه العريق في طفولته ، ونهاية حياته . وقد أفدت منها فائدة كبرى في كتابي الذي ألفته عنه «علي مبارك : حياته ودعوته وآثاره» .

وفي شيء من التسامح والتجوز نستطيع ان نضع في هذا الباب غزوات امرىء القيس العاطفية في معلقته ، واقتحامات عمر بن ابي ربيعة وحيله ، ومعاتبات ابي نواس ولطائفه ، ونزوات بشار وقصصه وصوره القوية البارعة .

• • •

وهذا كتاب جديد من كتب التراجم الذاتية صدر لكاتب باحث من المعاصرين : «تباريح الشباب» للمرحوم اسماعيل مظهر . ولهذا الكتاب مزية ينفرد بها عن بقية التراجم المعاصرة التي اشرنا الى بعضها ، والمزية لا تقتضي الافضلية ، كما هي القاعدة . فالدكتور طه حسين ، مثلا ، يصور البيئة التي ولد فيها ونشأ . «بيت من تلك البيوت التي تعيش في ظلمات من الفقر والحاجة والجهل والمرض في قرية من صعيد مصر» ، ثم بعد ذلك في «الأزهر» حتى رحل الى فرنسا فتغير وجه الصورة ، بل انعكس ، وتوفيق الحكيم وسلامة موسى يصوران بيئة الطفولة لهما : بيئة الطبقة المتوسطة من موظف الحكومة في مصر آخر القرن الماضي وأول هذا القرن . ولطفي السيد يصور بيئة مولده وصباه : بيئة «اعيان الريف» في قرى مصر ، وهكذا .

اما اسماعيل مظهر في ترجمته تلك فيصور البيئة التي نشأ فيها . وهي بيئة فريدة بين هذه السير مغايرة لها مغايرة تامة : يصور البيت — او القصر الشامخ — الذي ولد وعاش فيه فنجد احاديثه تلك وصفا لطبقة من الناس تعيش في ثراء عريض و «ارستقراطية» باذخة تجمع بين عراقة الاصل وكرم المنبت(٢) وامتياز الفكر وسيادة الجاه والثروة ، وهي ، مع ذلك ، تغمرها عاطفة اصيلة صادقة من التدين . مع هذه العراقة والسيادة والثراء نحس احساسا رقيقا بما كان يسود هذه الاسرة من عاطفة التدين ، وبخاصة عند جدته لأمه : «جولستان ، اي بستان الورد» تلك التي كانت توصي ابنتها بالصبر والابتهال الى الله حين تأخر حملها سنوات اربعا ، حتى اذا شاء الله وحل مولده استقبلته هذه الجدة بعد سهر طويل في ليلة شتاء باردة وقد «مدت سجادة صغيرة ، هي عبارة عن طنفسة ايرانية ، فقامت عليها متوسطة الطول ، بيضاء البشرة ، حلوة التقاطيع ، وقد ارتدت ثوبا الى البياض ، وألقت على رأسها خمارا رقيقا ، وصلّت بضع ركعات ، ثم جلست تتجهد ، وحبات مسبحتها الكهرمانية الكبيرة دقات لعلها تتفق ودقات قلبها الشفيق ، وعلى شفتها : «حمدا لك يا رب» : وكذلك كانت امه «كأكثر نساء عصرها من اهل الطبقة العليا ، فيها صفاء وعفة وخوف من الله» .

اما ابوه الذي كان «هجينا من امم شتى» كما يقول ، فقد كان سيدا «هادىء القسمات لا الى الطول ولا الى القصر ، قمحي اللون ، اسود العينين ، ناعم البشرة ، رقيق الاعضاء ، معتدل القامة ، باسم الثغر عن طبع لا عن تكلف» . وقد تلقى الأب نبأ مولد ابنه فحمد الله ثم امتدت يده الى كتاب في ادب القدماء يقرأ فيه تارة ويرمق الأم تارة اخرى بنظرات يسيل فيها الحنان والعطف .

ونحن نحس احساسا رقيقا هانئا حين نقرأ تلك الصفحات التي يتحدث فيها عن امه وجدته مرة بعد مرة وهي تجلس الى شيخ يقرأ القرآن فتستبقيه في مجلسها يتلو وهي تصغي اليه صامتة خاشعة لا يستطيع ان ينصرف او يتوقف حتى تأذن له ، وهي سابحة في خشوعها لا تلتفت اليه حتى يمضي في قراءته ساعات متواصلة . ونحس هذا الاحساس الرقيق الطيب حين نقرأ احاديثه عن ابيه ، ذلك الهادىء الوقور الذي يقرأ القرآن ويستشهد في احاديثه بآيات منه ، والذي يجعل بين موظفي القصر شيخا ورعا يقرأ القرآن في كل يوم و «شيخة» عمياء تقيم في القصر فتحدث سيداته وصبيانه وخدمه احاديث النبي عليه السلام وصحبه وقصص الأنبياء ، وهو — صاحب البيت وسيده — يقرأ كتاب «الاغاني» وغيره من الادب العربي القديم كما يقرأ كتب الهندسة التي كان من اعلام رجالها .

الكتاب يتضمن خمسة عشر فصلا تسبقها مقدمة بقلم نجله «جلال» جمع فيها بعض ما كتبه الكتاب في رثائه بعد موته «٣ فبراير ١٩٦٢» ، ثم نجد بعد ذلك فصول الكتاب — التي لم يتضمنها فهرس لا في اوله ولا في آخره — بدأ أول فصوله بطائفة حية خلابة من الذكريات والخواطر عن قصر ابيـــه . وفي هذه الذكريات والخواطر ، كما في غيرها من صفحات الكتاب ، نعرف اسماعيل مظهر اديبا ، بل شاعرا ، بعد ان عرفناه عالما باحثا غواصا .

كانت للقصر «ملاحق» وحدائق وحظائر للخيل منها جواده «سحاب» كـمـا كان في القصر جناح يسمى «جناح الرخام» ، سلمه وأبهاؤه وحجراته مرصوفة بالرخام الأبيض الجميل ، وعلى جدرانه ثبتت اطباق من الرخام المنقوش اختلط في نقوشها عدة اذواق عربية وقوطية بيزنطية . والى يمين الداخل بهو كبير يفضي الى حجرة سميت «نزهة» وحجرة كبيرة لا هي مربعة ولا هي مستطيلة ولا هي مستديرة ، وانما هي عبارة عن اربعة «ليوانات» متسعات وفي وسطها نافورة جميلة ، فرشت حوافيها بالطنافس

---

(٢) انظر مقالتنا : سيرة ملهمة «قافلة الزيت» شوال ١٣٨٢–فبراير ، مارس ١٩٦٣ ، واسماعيل مظهر ومجلة العصور ، «العلوم» بيروت ، فبراير ١٩٦٣ ، وأيضا اسماعيل مظهر مفكر صاحب رسالة ، «الرسالة» ، القاهرة ، ٢٧ فبراير ١٩٦٤ .

الايرانية وتناثرت عليها حشيات ومساند . وهناك نقضي ساعات الهاجرة في اثناء الصيف ، ولقد وزّع الضوء فيها توزيعا مريحا للنفس ، بالرغم من اتساع نوافذها ، وارتفاعها الكبير . فهي محصورة بين ابهاء واسعة تحجب عنها وهج الصيف وترد عنها لفح الهاجرة .

ولئن رأينا في هذه الاسماء التي اختارها صاحب القصر وسيده لحجرات قصره وأبهائه ولخيوله طابعا عربيا ، فنحن نجد في داخل القصر عالما آخر مصغرا من الناس والاجناس يعيشون فيه تجمعهم المحبة وتشملهم السعادة ويسودهم الرضى والنعيم . كلهم راض بما قسم الله له ، نجد بين اسماء من يجمعهم هذا القصر : لطيفة وظريفة وزهرة وبهانة وفاطمة وراوية وسيد وعفيفي ، من المصريين ، كما نجد من اسماء من فيه : بلالا ومراسينة ، وفرجا وجوهر أغا ، وزعفرانا وهدى من الاحباش والسودان ، ونجد من بنات الاغريق ممن يقمن ويعملن في القصر : هيلانة وأندرونيكا . ونجد «شوقا» التي لا تعرف من اي جنس هي ، ومن قبل هؤلاء جميعا نجد هذه الأسرة التي تمتد اصولها الى عناصر مختلفة وتختلط في دماء ابنائها اعراق شتى .

وقد تحدث مظهر عن صباه وشبابه بين تلك الحجرات والحدائق والممرات والسراديب والمقصورات كأنما يصف حلما في جنات النعيم .

* * *

ولكن هذه السعادة والنعيم وهذا الهناء المقيم لم يخليا حياته من شجون يسيل لها الدمع ويكاد ان ينفطر من حديثها القلب ، احزان وأشجان تحدث عنها في هذه السطور الحية القوية الحائرة الباكية :

«كانت الدنيا ملء نفسي فأصبحت خواء مملا ، وكانت الحياة جمالا وفتنة فأصبحت عبئا ثقيلا ، وكان للمناظر التي تقع عليها عيني معان ممزوجة بأمل في المستقبل وتغافل عن الماضي ، فاذا بالامل في المستقبل يكاد يموت ويمحي ، واذا بالماضي كله ينتعش وتتحرك ذكرياته في نفسي . وكان العمر ساعات خفافا تمر مر السفينة في بحر هادىء رخاء ، فاذا بها ساعات ثقال تمر متكاسلة ، باردة كالرصاص . كانت روحي منطلقة في سماوات بعيدة الآفاق مديدة الجنبات فاذا بها تصبح حبيسة في ذلك السجن الضيق الذي لا ينفسح الا لكل ما يثير شجون الحياة» .

ولقد ، والله ، ابكتني تلك الصفحات البائسة اليائسة التي كتبها يذكر فيها — وقد ماتت — صفيّة حياته ونجيّة روحه ، تلك الفتاة التي كان ، اسمها : «افتياب» ، ثم اختار لها ابوه اسما عربيا جميلا هو : «معشوق» .

* * *

والكتاب كما نعرف ، ترجمة ذاتية لصاحبه ، ولكنه يجمع ، الى ذلك ، فنونا شتى : تأملات في الحياة والموت والامومة ، وأحاديث في الدين والشريعة والأدب والشعر والقصص تنبىء عن مقدرة فائقة واطلاع واسع عميق ، تدل عليه تلك الاستشهادات الكثيرة من القرآن الكريم ، والتوراة ، وأدب العرب ، وأشعار عنترة وامرىء القيس وعمرو بن العاص وعمر بن ابي ربيعة والمتنبي وديك الجن وأبي نواس والمعري .

كما نجد صفحات من المرح والدعابة في تلك الصور التي صور فيها بعض حوادث القصر وشؤون اهله وساكنيه . وسنذكر صورة ضاحكة منها بعد قليل .

ونجد «دراسات» جادة في التاريخ ، كتلك التي كتبها عن «لوبيا» : — ليبيا — والاسكندر ، وعن جبل «أوليمبوس» ، وعادة الخصاء وتجارة الرقيق في الشرق القديم وبلاد اليونان وفارس والهند والصين ووسط أفريقيا ، وفي ايطاليا وأوربا ، وعن «الخصاء الاختياري» في الشرق والغرب ، ذلك الخصاء الذي ذكر «الجاحظ» بعض خبره وأخبار «رجل» من رجاله .

ومن اجمل فصول الكتاب وأكثرها صدقا واثارة فصل «كنعان الرومي» : ص ١٤٠—١٤٣ .

ومن اجمل فصوله وأكثرها كذلك اثارة وصدقا وتشويقا فصل : «مراسينة» ووصفه فيه اجازة «صباح الجمعة» التي يستمتع بها العاملون في القصر من الاحباش السود : «فاذا كنت شجاعا واقتربت من احد هذين المكانين ، خيل اليك ان ابليس ورفاقه قد ركبوا رؤوسهم في يوم الحشر العظيم ، وهم يساقون الى جهنم صاخبين هادرين ، كأنما تنبعث من صدورهم دمدمة البراكين دويا يصم الآذان» ، ص ٧٤—٨٤ .

* * *

وفي احاديثه الخلابة عن هؤلاء القوم نجد روح الانصاف والتقدير والحب واضحة قوية ، فهو يحدثنا عنهم احاديث تدلنا على ان كثيرا من هؤلاء القوم قد جعل الله جلودهم سودا ولكنه وضع في صدورهم قلوبا بيضا طاهرة برة كريمة ، كذلك الحديث عن «بلال» : «تنهمر دموعه غزيرة كأنها الغيث حتى تبلل لحيته وتساقط على صدره ..» ، او تذكر «جوهرا» وقد اطرق الى الارض عند باب «الخوخة» اذ سمع ان جدته «جولستان» تحتضر «وقد ارتسم على وجهه من معاني الأسى والحزن ما يبعث في نفسك الاكبار والتبجيل والاحترام» . وذلك الحديث الجميل المعجب في «جوهر أغا» هذا : «وقورا محتشما محافظا على الآداب ، عف اللسان ، طويل القامة ممشوق القد ، نظيف الملبس ، لا ترى في ثوب من اثوابه اثرا من وسخ او كدر ، كثير التعبد لطيف المعشر سمح الديباجة طيب القلب ، يحنو على الفقير والمسكين وابن السبيل . يصوم ثلاثة الأشهر ، فاذا انتهى رمضان عقب عليه بستة الايام البيض . ولا يفوته الصيام ثلاثة ايام في بعض المناسبات الدينية . يحسن السماع لآي الذكر الحكيم ، فاذا سمع قارئا يتلو سورة منه او بعض سوره ، جلس متهيبا ويداه الى رأسه ، منخفضا رأسه . وقد ترى بعض الأحيان دمعا يتقاطر من عينيه حتى يبلل لحيته» .

* * *

والى جانب هذا كله نجد صورا ضاحكة مرحة — كما اشرنا من قبل — كتلك التي تحدث فيها عن ذلك الشيخ الذي لا يستطيع ان ينطق حرف «الميم» فيجعله نونا ، وتلك التي تحدث فيها عن ذلك الحلاق العجوز : «عند مدخل زقاق الكاشف ، الذي يفضي الى القصر ، شجرة من اللبخ اتخذها حلاق مسن مقعدا يتصيد في ظلها رزقه ونصيبه من الدنيا ، وكان الرقعاء من فتيان الحي يجلسون اليه يتزينون ، فاذا فرغ من عمله افلتوا هاربين من اداء اجره الضئيل ، فعمد الى الشجرة ودق فيها حلقة من حديد ربط بها حبلا متينا ، فاذا جلس اليه احدهم وضع الحبل في رقبته ومضى في عمله ، ولا يفك الأنشوطة الا بعد ان يتثبت من ان يده تقبض على مليمات هي كامل اجره» .

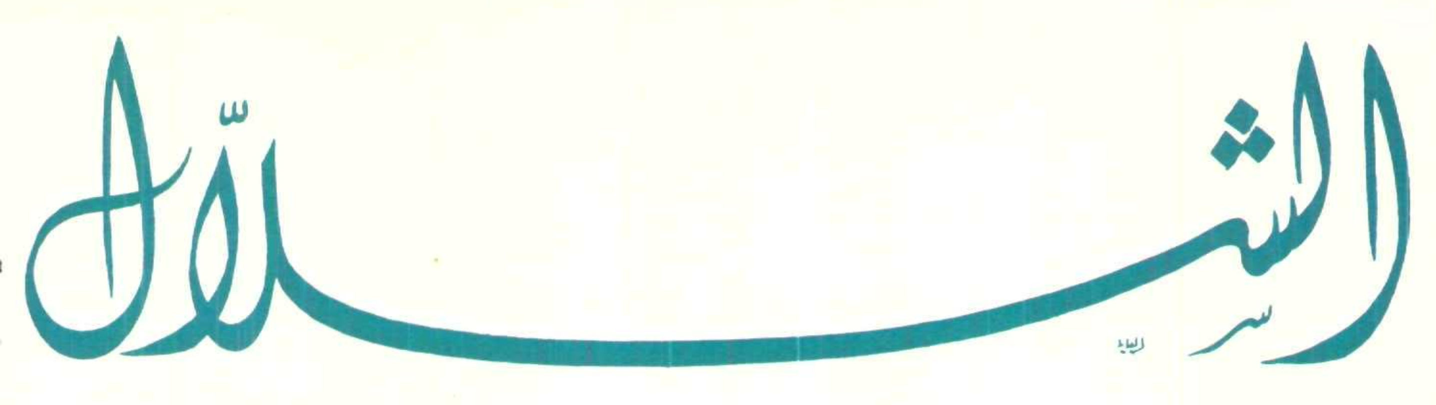
* * *

وفي الكتاب عيبان ذكرت معهما بيت المتنبي الذي يقول :

ولم ار في عيوب الناس شيئا
كنقص القادرين على التمام

الأول : اشرت اليه من قبل ، هو خلوه من فهرس . والثاني : تلك الاخطاء التي كان من اليسير تداركها عند الطبع .

وبعد : فهذا كتاب جدير باسم : اسماعيل مظهر .



شلال قرية «الهامة» متنزه دمشق

للشاعر أنور العطار

عُجِبْتُ من شلالك المذعورِ   مكسَّرَ الماء على الصّخور
منتشرا كالزَّبَدِ المزرورِ   مُسْتَرْسِلَ الغناءِ والخرير
منطلقا مثل الصبايا الحور   حَسرْنَ عن هياكلٍ من نورِ
وغِبْنَ في غلائلِ البلّور   روانياً بواسمَ الثغورِ
تسمَعُ في العشيِّ والبُكُور   أغنيّةً عُلْويّة السّطورِ
تحفظُها العُصور للعُصور

* * *

يا مُؤنِس المستوحِش المهجُورِ   وجابراً لِقَلْبه المَكْسور
ويا سميراً طاب من سميرِ   ويا نَصيراً عَزّ من نصيرِ
ينفحُني بِجَوّه المَطيرِ   وطَلّه المنتشر المنثور
وروضِه المخضَوْضِر النضير   وزهرِه المؤتَلِق العَطيرِ
يَصْدُق في محرابه تصويري   ويعتلي في أفقه تفكيري
كأنما ضميرُه ضميري

* * *

شَلاّلُ ! يا حِسّي ويا شعُوري   ومَوْئلي في هجْمَة الشرور
وَمَلْجَئي في ضائقِ الأمور   ومَفْزَعي في دَهْريَ العسيرِ
ويا أناشيدي ويا مَزموري   ويا خَواطري ويا تَعْبيري
يا شاعِرَ الغاباتِ والطّيور   خُذْ بي الى مطافك المَحْظور
وسَلّني بلحنِكَ الأثير   وَرَوِّني مِنْ مائِكَ الطّهُور
وكن مجيري إنْ نَأى مُجيري

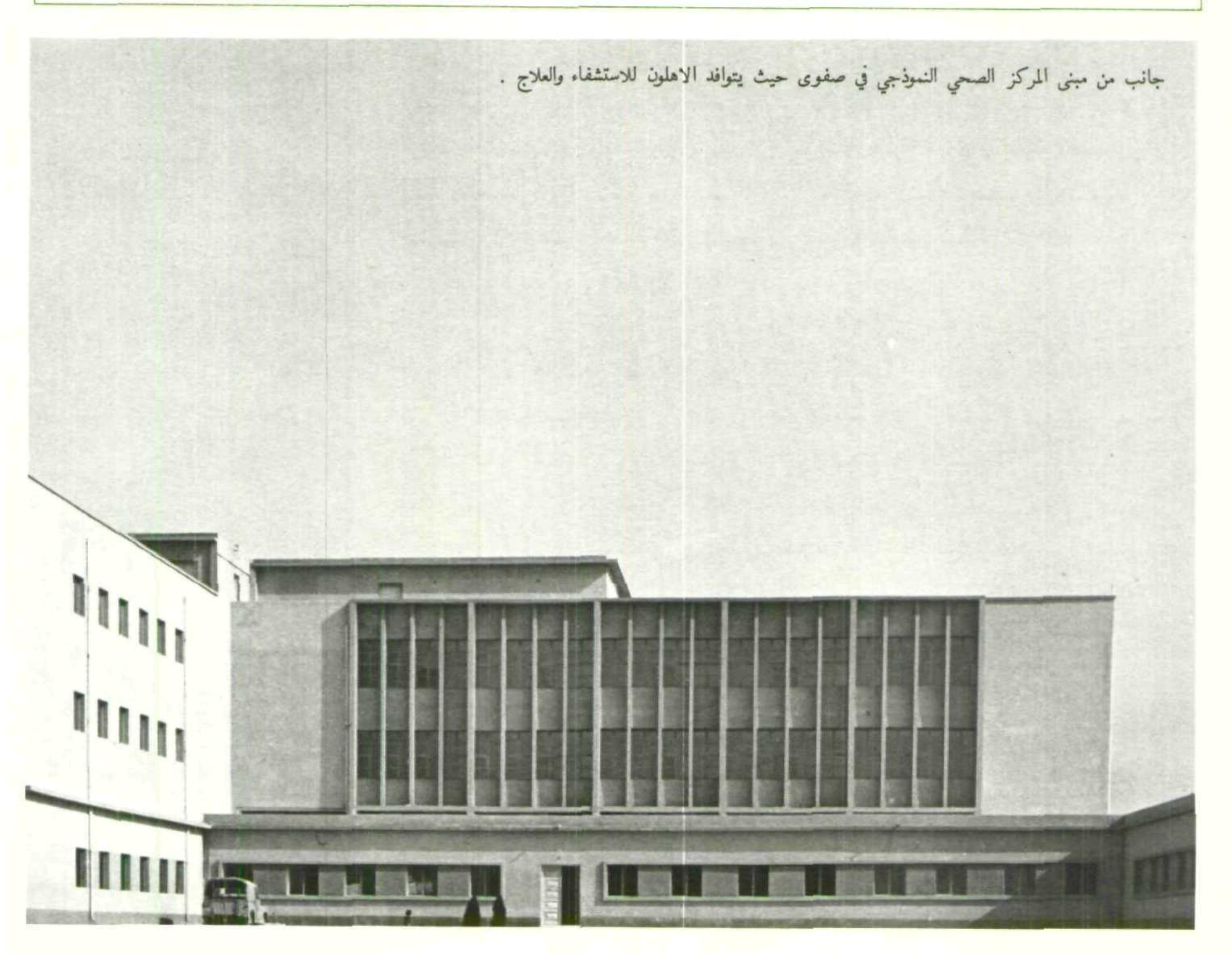
* * *

راويةَ الاحقابِ والدّهورِ   ومِنْحَةَ المُصوّرِ القَدير
يا أرْغُناً مُنْعَدِمَ النّظير   يفتنّ في الايقاع والهَدير
يا فِتْنَةَ الهَزارِ والشُحْرور   وبَهْجَةَ الكبيرِ والصغيرِ
أنت كتابٌ زينَ بالشّذورِ   من كلّ فنّ رائعٍ مأثورِ
يَنفَحُ نَفْحَ المِسْكِ والعَبير   ويَنْجَلي عَنْ كَرَمٍ وخيرِ
ويغمُرُ الوُجودَ بالسّرور

* * *

وافيْتُهُ في وَهَج الحَرُورِ   في صَيفِ يَوْمٍ قائظٍ مَسجُورِ
مُقْتَطَعٍ مِن لَهَبِ السّعير   ووَقْدةِ الرّمْضاء والهَجيرِ
فَلَفّني بعَيْشِه القرير   وحُلْمِه المُسَلْسَلِ المكْرور
أعيشُ من نَداهُ في حُبورِ   أنهَلُ من دَنّ الهَوَى المَخْمُور
وأنْتَشي بالنّورِ والعُطورِ   وأحْتَمي بِظِلّه المَسْتورِ
كأنني في عالَمٍ مَسْحورِ

المركز الصحي الاجتماعي النموذجي في صفوى



جانب من مبنى المركز الصحي النموذجي في صفوى حيث يتوافد الاهلون للاستشفاء والعلاج .

السيدة «اثل مري» مرشدة تمريض الصحة العامة والقبالة تقوم بتعليم احدى الامهات الطريقة الصحيحة لغسل الطفل .



الممرضة السيدة «فوزية محمد السمان» تقوم بتلقيح احدى الفتيات ضد مرض التيفوئيد .

في الرابع عشر من شهر مارس عام ١٩٦٣ ، وقعت اتفاقية حملت اسم «عربية سعودية ٢٩» بين حكومة المملكة العربية السعودية من جهة ، وبين منظمة الصحة العالمية من جهة اخرى . والاتفاقية عبارة عن مشروع صحي شامل يرمي الى تعميم الخدمات الصحية في كل منطقة من مناطق المملكة ، عن طريق اقامة مكاتب صحية على مستوى مديريات ، تعنى بتنظيم المستوصفات الصحية والمستشفيات ، وتقديم الرعاية الصحية الوقائية والعلاجية للأهلين . ولما كان كل مشروع لا يكتب له النجاح ما لم يتوفر له الفنيون الأكفاء الذين يرعونه ويشرفون عليه ، لذلك تقرر ان يبدأ المشروع كخطوة اولى في المنطقة الشرقية حيث تكون المنشآت التي تقام فيها ، عبارة عن مركز تدريب واطلاع يشرف عليه ويسانده ويعمل على انجاحه ، فريق من خبراء منظمة الصحة العالمية . فاذا ما كتب لهذه الخطوة من المشروع النجاح ، وجرى تدريب موظفي صحة اكفاء يستطيعون تحمل مسؤولياتهم والقيام بواجباتهم على النحو المطلوب ، جرى تعميم هذا المشروع على بقية مناطق المملكة ، متخذين من المنطقة الشرقية مثالا يحتذى ، ومن الأفراد الذين جرى تدريبهم ، موظفين لهذه المراكز . وقد دخل المشروع في المنطقة الشرقية طور التنفيذ وظهرت ثمرته «مديرية الشؤون الصحية» و «مستشفى الاساس» في الدمام ، «والمركز الصحي الاجتماعي النموذجي» في صفوى ، والاخير هو ما نحن بصدد الحديث عنه اليوم . وقد ساهمت ارامكو في هذا المشروع الحيوي التطويري الضخم ، فتكفلت بأمر دفع اجور خبراء منظمة الصحة العالمية الستة عشر الذين يعملون في كل من المركز الصحي في صفوى ، ومستشفى الاساس في الدمام .

موقع المركز الصحي ومهامه

يقع المركز الصحي الاجتماعي النموذجي في جنوبي بلدة صفوى ، ومن مهماته الاساسية تدريب الأشخاص والموظفين الذين ستختارهم الحكومة للعمل في المراكز الصحية المماثلة المنوي انشاؤها . هذا ويقوم المركز ايضا بتقديم الوقاية او العلاج لاهالي بلدة صفوى والعمل على رفع مستوى البلدة الصحي . ولديهم لذلك عيادة خارجية ، وقسم لرعاية الطفولة والامومة ، وقسم للصحة البيئية ، وغرفة توليد للحالات الطارئة ، وغرفة للمعالجة والتلقيح . وسنتناول كلا من هذه الاقسام على حدة .

العيادة

في العيادة طبيبان ، أحدهما اخصائي في امراض الأطفال ، والآخر طبيب صحة عامة . ويقوم هذان الطبيبان بتقديم جميع الخدمات العلاجية للنساء والرجال والاطفال على حد سواء ضمن الامكانات المتوفرة في العيادة ، فاذا كانت الحالة مستعصية ، او تحتاج الى الترقيد احيلت الى المستشفى الرئيسي في الدمام حيث يتولى

الاطباء الاخصائيون مهمة علاجهـا . ويتبع للعيادة صيدلية صغيرة تقدم للمرضى الأدوية والعقاقير بدون مقابل .

رعاية الطفولة والأمومة

يعتبر هذا القسم الوحيد من نوعه في المنطقة الشرقية ، باستثناء قسم رعاية الطفولة والأمومة في ارامكو الخاص بعائلات موظفيها فقط ، ففيه قابلة قانونية ، وممرضة صحة عامة ، تقومان بمعاينة الحوامل مرة في الشهر خلال السبعة الأشهر الاولى في فترة حملهن ، ومرة كل خمسة عشر يوما خلال الشهر الثامن ، ومرة في الاسبوع خلال الشهر التاسع . كما تقومان بحفظ سجل كامل لحالتهن الصحية ، هذا الى جانب النصح والارشاد وكل ما من شأنه تحسين صحة الام والمولود المنتظر . وبعد ان تضع الحامل مولودها ، يطلب اليها الحضور واياه الى المركز بعد مضي ستة أشهر من ولادته ؛ وذلك لمتابعة الرعاية الصحية والتأكد من سلامة صحتهما . وتستمر بعد ذلك عناية المركز بالطفل حتى يصل الى سن دخوله المدرسة .

وتقوم ممرضتا المركز باجراء حالات الولادة الطارئة ، ولديهما لهذا الغرض غرفة ولادة خاصة مزودة بالمعدات الضرورية . اما الولادة الطبيعية ، فتجريها القابلات المحليات (الدايات) . وتوخيا لسلامة الحوامل اعدت ممرضتا المعهـد برنامجا تدريبيا خاصا لهؤلاء القابلات ، يتلقين خلالـه دروسا عملية في فن القبالة . ومتى انهت القابلة فترة التدريب هذه حق لها الاستحصال على رخصة قانونية لتعاطي فن القبالة .

قسم الصحة البيئية

ومهمة هذا القسم العمل على رفع المستوى الصحي في البلدة عن طريق نشر الوعي الصحي بين افراد الجمهور . وقد قام مستشار الصحة البيئية الموفد من منظمة الصحة العالمية بالتعاون مع المفتش الصحي السعودي الموجود في المركز ، بانشاء جمعية صحية من ابناء البلدة المتطوعين اسند اليها مهمة الاشراف على نظافة الشوارع والاسواق والباحات العامة وتخليصها من الاقذار ومواطن توالد الذباب ، ومن المستنقعات الوبيئة حيث يتوالد البعوض الذي يحمل للانسان مرض الملاريا الفتاك . ومن الاعمال التي حققتها الجمعية حتى الآن تنظيم عملية رفع الاقذار من شوارع البلدة ومنازلها والقيام على نفقتها الخاصة بصنع نماذج من الخزائن والصناديق التي يجب ان تحفظ اللحوم والاسماك فيها بعيدة عن الذباب وتوزيعها في مختلف انحاء البلدة ليقوم الجزارون بصنع امثالها وحفظ لحومهم وأسماكهم فيها ريثما يتم بناء سوق لحم خـاص في صفوى على الطرق الصحية الحديثة .

والعمل الحيوي المهم الذي قام به قسم الصحة البيئية هذا ، هو اجراء احصاء شامل عن الحالة الاقتصادية ، والاجتماعية ، والثقافية ، والصحية في مدينة صفوى . لقد تم زيارة جميع منازل البلدة التي يبلغ عددها حوالي ٨٥٠ منزلا وجرى جمع المعلومات الدقيقة عنها ، ولم يتبق سوى تصنيف هذه المعلومات وتحليلها والاطلاع على نتائجها التي ستوضع على ضوئها خطة فعالة لمعالجة المشكلات الصحية الراهنة .

ومن الاعمال التي يقوم بها مستشار الصحة البيئية والمراقب الصحي فيها ، التفتيش بانتظام على المطاعم ، وتقديم الارشاد الصحي لاصحابها والعاملين فيها . كذلك يقومان بالتفتيش على جميع موارد المياه في البلدة . وقد دلت الفحوص المختبرية ، البكتريولوجية والكيماوية ، بأن موارد مياه صفوى سليمة خالية من التلوث .

غرفة المعالجة

من الامور الاساسية التي يهتم بها المركز ، امر مكافحة الامراض المعدية وتحصين الاهلين ضدها . لذلك تقوم الممرضات في غرفة المعالجة بتلقيح الرجال والنساء والاطفال ضد الجدري والشلل والتيفوئيد والدفتيريا والكوليرا وغيرها من الامراض المعدية ، كذلك يقمن باعطاء المرضى حقن العلاج التي يصفها لهم اطباء المركز .

العاملون في المركز

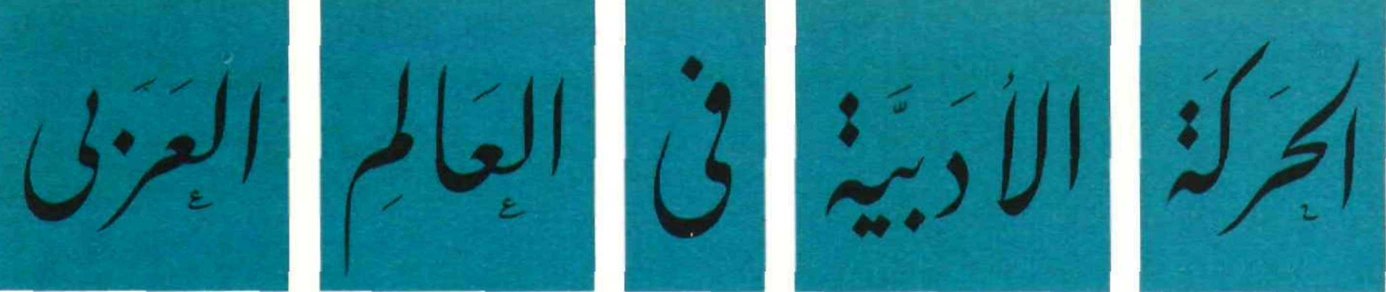
موظفو المركز قسمان ، قسم تابع لمنظمة الصحة العالمية ومهمته تقـديم الاستشارات الصحية والارشاد ، والقسم الآخر من موظفي الحكومة ، وهو الذي يقوم بالاعمـال الفعلية في المركز حسب توجيهات مستشاري منظمـة الصحة العالمية . فالقسم الاول عبارة عن مستشار طبي ، ومرشدة تمريض صحة عامة وقبالة ، ومستشار صحة بيئية . اما القسم الثاني فيتألف من طبيبين ، وممرض وممرضة ، ومساعد صيدلي ، ومراقب صحي ، وكاتب ، وسائق ، وعشرة سعاة .

ومما تجدر الاشارة اليه هنا ، هو ان جميع العاملين في المركز الصحي النموذجي يقدرون ما للتثقيف الصحي من اثر فعال في نشر الوعي الصحي في المجتمع . لذلك يعملون جادين . على توزيع النشرات الصحية المختلفة على الاهلين ، واقامة الندوات الصحية التثقيفية مرتين في كل شهر ، والغرض من ذلك كله العمل على نزع العادات الصحية الخاطئة من النفوس وغرس عادات صحية جيدة محلها ترفع من مستوى البلدة الصحي ، وتحدو بها نحو التقدم والازدهار ، وهذا طبعا يتطلب الكثير من الصبر والعمل الجاد والوقت الطويل .



الجمعية الصحية في صفوى ، يتوسطها السيد «عادل جلول» مستشار الصحة البيئية التابع لمنظمة الصحة العالمية .

تصوير : عبد اللطيف يوسف







الحركة الأدبية في العالم العربي

• ما زالت سيرة العلامة الراحل الاستاذ سلامة موسى تجتذب اقلام الكتاب والباحثين ، يجدون فيها مادة غزيرة للمناقشة . وميدانا رحيبا للبحث والاستقصاء . وأحدث كتاب صدر عنه عنوانه : «سلامة موسى المفكر والانسان» وقد ألفه صديقه الاستاذ محمود الشرقاوي فأدى للصداقة حقها الوافي ، وأدى للعلم والبحث ضريبته الواجبة .

• صدر للشاعر الكبير الاستاذ علي الجندي العميد الأسبق لكلية دار العلوم ديوان جديد عنوانه «ترانيم الليل» فيه طائفة طيبة من شعر الوجدان الرقيق .

• ترجم الدكتور ابو الفتوح رضوان كتابا كبيرا عن «تدريس التاريخ» من تأليف هنري جونسون .

• ظهرت طبعة ثانية لكتاب «في الايمان والاسلام» للأستاذ احمد حسين المحامي .

• «القوس العذراء» عنوان ديوان شعر كبير للأستاذ محمود محمد شاكر .

• من الكتب العلمية التي صدرت اخيرا الجزء الاول من كتاب «محركات السيارات : تكوينها وتشغيلها وصيانتها» تأليف وليم كراوز وترجمة الدكتور محمود حسان سعداوي ومراجعة الدكتور محمد مصطفى العلايلي ، و «حصاد المحيط : مستقبل علوم البحار» تأليف هيلين ولف فوجل وماري ليونارد كاروزو وترجمة الاستاذ زكريا فهمي ، و «الثعابين» تأليف بسي هنت وترجمة الدكتور عبد الحليم كامل ، «الفراشات وأبو دقيق» تأليف روبرت لمن وترجمة الدكتورة سميرة الزيادي ، و «الصخور المتغيرة» تأليف آن تيري هوايت وترجمة الدكتور محمد يوسف حسن ، و «جسمك هذا العجيب الفريد» تأليف روبرت فوليت وترجمة الدكتور معمر خالد الشابندر ، و «قصة الالمنيوم» للدكتور انور عبد الواحد .

• «الصراع الادبي بين القديم والجديد» كتاب للأستاذ علي العماري . تناول فيه جمهرة من قضايا الادب التي اختلف فيها الرأي ومنها قضية العامية والفصحى . وقضية العروض . وقضية تجديد الألفاظ والتعبيرات . وكتب مقدمة الكتاب الاستاذ الكبير احمد حسن الزيات .

• السيدة صوفي عبدالله ترجمت كتاب «ابنتي الحبيبة : خواطر وتأملات» وهو من تأليف آن مورو لندبرج . ويشتمل هذا الكتاب الطريف على نصائح مما تسديه الأم الى ابنتها الشابة وهي على عتبة الزواج والأمومة .

• كتاب جديد عن العلامة الراحل الاستاذ عباس محمود العقاد ظهر بقلم تلميذه الاستاذ عبد الفتاح الديدي وعنوانه «عبقرية العقاد» .

• في الادب المسرحي ظهرت المسرحيات التالية : «خبطة العمر» وهي مجموعة من اربع مسرحيات قصيرة للدكتور سعد الخادم ، و «كرنفال الاشباح» وهي مسرحية طويلة من تأليف موريس دوكوبرا وترجمة الاستاذ احمد رضا ومراجعة وتقديم المرحوم الدكتور محمد مندور ، و «صخرة الرعد» وهي مسرحية طويلة من تأليف روبرت آردري وترجمة الأستاذ مرسي سعد الدين ومراجعة الاستاذ حسن محمود ، و «العادلون» لألبير كامي وترجمة الدكتور ريمون فرنسيس والأستاذ بسيم محرم ، وتظهر قريبا مسرحية «حبل الغسيل» للأستاذ علي احمد باكثير .

• الاستاذ محمد عبد الغني حسن اصدر ترجمة لحياة «عبدالله فكري» المفكر الفيلسوف المعلم . كما اصدر الدكتور فؤاد زكريا ترجمة لحياة «ريتشارد فاجنر» الموسيقار المشهور . وقد سبق للأستاذ صلاح الدين البستاني ان اصدر كتابا ضخما عن «فاجنر» .

• الطبعة الثالثة لكتاب «ابن خلدون» للعلامة الكبير الاستاذ محمد عبدالله عنان تظهر قريبا .

• الاديب المغربي الاستاذ محمد الصباغ يصدر قريبا كتابا عنوانه «اهل مدينتي الفاضلة» يتحدث فيه عن اعلام المفكرين الذين عرفهم وصاحبهم وتأثر بهم كالمرحوم العقاد ، والمرحوم ايليا ابي ماضي ، والاستاذ ميخائيل نعيمة ، والاستاذ بولس سلامة ، والاستاذ علال الفاسي وغيرهم .

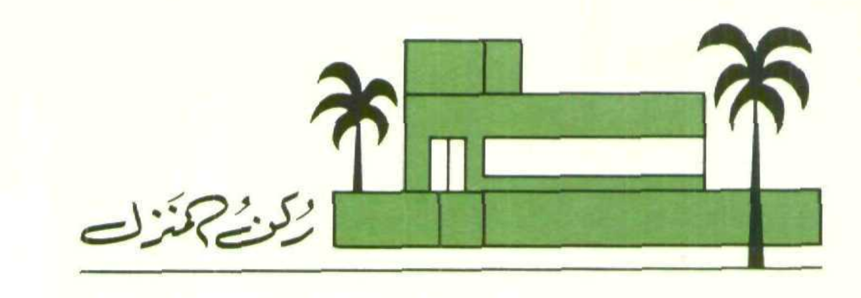
• كتاب جديد عن «مي» يصدر قريبا للسيدة وداد سكاكيني . كما يصدر للاستاذ محمد عبد المنعم خفاجي كتاب كبير عن «الجاحظ» .

• صدرت ترجمة عربية لرواية طويلة عنوانها «السائرون وحدهم في الحياة» وهي من تأليف بيري برجس ، وترجمة الطبيب الأديب الدكتور سعيد عبده .

• الدكتور احمد عزت راجح اصدر كتابا علميا نافعا عنوانه «الأمراض النفسية والعقلية : أسبابها وعلاجها وآثارها الاجتماعية» .

• طائفة من كتب الاعمال والادارة صدرت اخيرا منها «فن القيادة والتوجيه في ادارة الاعمال» وقد ترجمه الاستاذ محمد عبد الفتاح ابراهيم ، و «دراسة الادارة العامة» تأليف دوايت والدو وترجمة الاستاذ الشريف عبّود ، و «عملية تدريب الرؤساء» تأليف ن. كانتور وترجمة الاستاذ علي حامد بكر .

• في الاقتصاد ظهر كتابان مترجمان هما «المدخل الى علم الاقتصاد : او الانسان والنقود والبضائع» تأليف جون كامبس وترجمة الدكتور حميد القيسي ، والجزء الاول من كتاب «علم الاقتصاد» تأليف بومول وجاندر وترجمة الاستاذ سعيد السامرائي وتيودور يوحنا وصبحي جرجيس وفرج روشا ومراجعة الدكتور حميد القيسي .



تعلم الأكل عند الأطفال

بقلم السيدة نادبا شبلاق

كثيرات منا نحن الامهات نعاني من مشكلة الاكل عند اطفالنا . ونحن نسميها مشكلة لاننا نتألم كثيرا لقلة اقبال اطفالنا على الطعام بشهية . وكوني اما قد جابهتني هذه المشكلة مثلك يا سيدتي دعيني ابحث معك هذا الموضوع لعلي اجد بعض الحلول العملية .

من اسهل الاشياء على الطفل تعلم الاكل . لان لتناول الطعام لذة خاصة . يولد الطفل ومعه القدرة على مص غذائه بدافع غريزي لان الطبيعة قد وهبته هذه الغريزة .

ان الطفل الذي يتلذذ بتناول الطعام منذ اول نشأته يتعلم تناول انواع كثيرة من الاطعمة عندما تصل سنه الى السادسة مثلا بينما نجد غيره في هذه السن يبتعد ويشمئز او يدير وجهه عن طعام جيد لم يتعوده لانه لم يتمرن منذ اول نشأته على هذه المحاولة .

وعندما تريدين ان يتعلم الطفل شرب الماء من الكوب فانه يجب عليك ان تبدئي تدريجيا بتعويده اولا ان يشرب الحليب بهذه الطريقة . ويلي ذلك محاولة تعويد الطفل اطعام نفسه لانه يشعر بلذة في ارضاء رغبته هذه فيخطف الملعقة ويغرزها في الطعام هو بنفسه حتى يعلق بها جزء من الطعام يوصله الى فمه فاذا نجح فانه سيعيد هذه المحاولة لان الطفل غالبا ما يعيد الشيء الذي يجد لذة في ممارسته ، ومن الافضل ان نساعده على زيادة شعوره باللذة والسعادة في اطعام نفسه ، لكن فلتكن مساعدتنا محدودة لان الاكثار من مساعدتنا للطفل يفسد عليه الشعور باللذة وتفتر مجهوداته خصوصا اذا صممت على ان تعطيه انت بنفسك انواعا من الاطعمة التي لا يستسيغها او يصعب عليه تناولها كالطعام ذي المرق الكثير مثلا .

ولكي تغري الطفل بمحاولة تعليم نفسه ، يجب عليك ان تقدمي اليه الاطعمة التي يحبها ، وينبغي ان يترك حرا في استعمال اصابعه ايضا ان رغب ، اذ هي الطريقة الطبيعية لوضع الطعام في فمه .

ان جهاز الطفل العصبي يزداد نضوجا في كل اسبوع يمر عليه . الامر الذي يمكنه بالتدريج من امساك الملعقة امساكا صحيحا ووضعها في فمه يوما ما فلا نتعجل الأمر قبل اوانه . ويجب ان نتذكر ان الطفل لا يمكنه ان يتقن فهم الشيء قبل ان ينضج تماما ويكون جهازه العصبي



المركزي مستعدا لذلك ، ولذا يجب ان تعطيه الفرصة للمحاولة التدريجية . فباستطاعتك يا سيدتي ان تتركي طفلك يطعم نفسه في اول الاكل عندما يكون جوعه على اشده ، ثم تتسلمي انت منه مسؤولية تكملة الوجبة بهدوء دون ان تشعريه بذلك وحبذا لو اخترت الوقت والفرصة المناسبين ويمكن تلخيص ذلك كالآتي :

اولاً : عندما يظهر الطفل رغبة في اطعام نفسه ، اتركيه يحاول ذلك لأن هذا يعتبر وقتا مناسبا .

ثانياً : ان التمرين الكثير المتكرر ضروري له لكي يصل الى درجة الاتقان ، لذا يجب عليك ان تتوقعي من الطفل ان يبعثر طعامه لمدة طويلة حوله فلا يحزنك ذلك لأن قيمة ما يضيعه من الطعام لا تذكر بالنسبة لما تسببينه له من ضرر حين تحاولين تصحيح اخطائه بطريقة عنيفة .

ثالثاً : اذا اردت ان يستمر التعلم طبيعيا يجب ان يكون التكرار محببا اليه ، لذا لا يجب اغضاب الطفل او استعجاله ، ولمساعدته على الممارسة يستحسن اسناد الطبق او وضعه في صينية ذات جوانب مرتفعة وان يكون للفنجان مقبض يمسك منه ، وان تكون الملعقة خفيفة سهلة المسك .

سيدتي : يمكنك تقديم مساعدات كثيرة لطفلك عندما يقوم باطعام نفسه ولكن الافضل ان تتركيه دون ان توليه كل اهتمامك وذلك بأن تبقيه على المائدة وتقومي انت بعملك . راقبيه ولكن دون ان تشعريه بالمراقبة على ان تقدمي له المساعدة عندما يحتاج اليها لانك ان جلست بجانبه غالبا ما يثيرك بطوءه مما قد يؤدي لان تتعجليه في الاكل فيؤدي ذلك حتما الى نتيجة عكسية .

تفضل

بعض الناس تدريب الطفل على ان يتناول طعامه مع باقي افراد الاسرة ، بينما يطيب للآخرين ان يأكل الطفل بمفرده . ولكن الاسلم ان يأكل الاطفال بمفردهم حتى لا يتعرض الواحد منهم لكثرة النقد بسبب الطريقة الخاطئة لمسك الملعقة او بسبب اسالة المرق او بعثرة الطعام او غير ذلك .

وهناك سبب آخر يحسن من اجله ان يأكل الطفل قبل باقي افراد الاسرة ، وهو فسح المجال للأم لتناول وجبتها سواء بمفردها او مع بقية افراد الاسرة . فاذا كان لا بد من ان يأكل الطفل مع العائلة فيجب ان يحرص الجميع على الا يبدوا اية ملاحظة على الاكل لان الاطفال يحبون ان يقلدوا ما يعجبون به . فان صدف وأظهر الأب عدم رغبته في تناول صنف ما ، فغالبا ما يقلده الاطفال . واذا كان احد افراد العائلة متبعا نظام اكل خاص ، او محظورا عليه تناول بعض الأصناف ، فالحذر من التمادي في التحدث في ذلك .

تتفاوت

رغبة الاطفال كثيرا في كمية ما يحتاجون اليه من الطعام فقد يأكل طفل ما اقل من طفل آخر . وبعض الاطفال يتناولون طعامهم بسرعة ، وآخرون يتناولونه بهدوء ، مع هذا فهم يتناولون القدر اللازم لمدهم بما تحتاج اليه اجسامهم . وحتى الأطفال الأكولين اذا وضع امامهم طبق مملوء بالطعام فسرعان ما يفقدون الميل اليه ، اما اذا وضعت كمية قليلة او معقولة لا تطغى على شهية الطفل ، فانه يأكل وعندئذ لا مانع من اعطائه كمية اخرى اذا رغب في ذلك .

والطفل السعيد المرح يتناول انواعا شتى من الاطعمة فيزداد نموا ووزنا ، ويستنتج من ذلك ان الطفل يأكل ما يكفي حاجته اذا كان في ظروف نفسية طبيعية .

تقل

وتزداد شهية الطفل للطعام من وقت الى آخر حسب ظروفه المختلفة ، والأم العاقلة تعمل على ملاحظة الأسباب التي تقلل من رغبة الطفل للطعام حتى تتمكن من معالجتها . فاذا اصيب الطفل بمرض يقل ميله الى الاكل طبعا ، وعلى العموم فان قلة الشهية لدى الطفل الذي اعتاد ان يأكل جيدا هي اولى علامات المرض . واذا كان الامتناع عن الاكل لسبب غير واضح فالافضل يا سيدتي ان تراقبي طفلك جيدا لبضع ساعات لاكتشاف ما اذا كانت هناك علامات واضحة لمرض ما والأفضل عرضه على الطبيب اذا تسرب الشك الى نفسك .

وقد تكون قلة النوم سببا لعدم اقبال الطفل على الطعام . فاننا نلاحظ في انفسنا اننا اذا تأخرنا في السهر ولم نأخذ كفايتنا من النوم ، فاننا لا نقبل على الافطار بشهية . وكذلك الطفل يا سيدتي فالمواعيد المنتظمة للاسترخاء والنوم والراحة ضرورية لتشجيع العادات الحسنة في الاكل .

فوائد منزلية

١ – ان احسن طريقة لمعالجة المشمع القديم الذي ظهرت به آثار الجفاف ، الأمر الذي يخشى معه تشققه هي دعك المشمع بقطعة من القماش الناعم مبللة بزيت الزيتون ، وبعد ذلك يلمع المشمع بقطعة من القماش الى ان تزول آثار الزيت اللزجة من على سطحه . تكرر العملية مرة في كل اسبوع ، وبذلك تضمنين عدم جفاف المشمع مع الاحتفاظ بليونته فضلا عن ان هذه الطريقة تنظفه ايضا .

٢ – اذا كنت ممن يضطرهن العمل للوقوف اكثر اوقات النهار ، فلا تهملي قدميك ابدا بل اغسليهما يوميا بماء ساخن وارفعيهما الى اعلى مدة نصف ساعة .. وستشعرين بعدها بالراحة .

٣ – الأرق عدو لدود ، لذلك عالجيه بأخذ حمام قبل النوم ، وبتناول كوب من الحليب الدافىء ، ثم بالاستراحة دون التفكير في مشاغلك .

٤ – قبل ان تعيدي طلاء اظافرك اتركيها بدون طلاء لمدة لا تقل عن خمس ساعات بعد ان تدهنيها بنوع من الكريم المغذي .

٥ – يتحسن طعم الشاي ورائحته ، اذا وضعت قطعة من قشر الليمون الجاف في علبته .

٦ – وضع ملعقة معدنية في فنجان الشاي او اي وعاء قابل للكسر يضمن سلامته عند صب اي شيء ساخن فيه .

طبق الشهر

المجدرة

المقادير :

كوب عدس
نصف كوب ارز
قليل من الملح
ملعقة كبيرة من زيت الزيتون
بصلتان صغيرتان

الطريقة :

١ – اسلقي العدس حتى ينضج جيدا . ثم اغسلي الارز وأضيفيه اليه واتركيه حتى ينضج . (اذا قل ماء المزيج قبل النضوج اضيفي اليه قليلا من الماء) .

٢ – اقلي البصل بزيت الزيتون حتى يحمر ، ثم اضيفيه الى المزيج .

٣ – ضعي المزيج على نار هادئة مدة خمس دقائق حتى يجف ماؤه ، ثم اضيفي اليه الملح حسب المذاق .

٤ – اسكبي المجدرة في اطباق وقدميها باردة مع سلطة الخضار .

الصفحة الضاحكة





بدون تعليق



ذاكرة قويـة

الأول : بدأت منذ البارحة في كتابة مذكراتي الخاصة .
الثاني : ارجو ان تكون قد وصلت الى اليوم الذي اقرضتك فيه الجنيه !

الـدرس الأوّل

سألت الجدة حفيدها : ماذا تعلمت في اول يوم لك في المدرسة ؟
الحفيد : تعلمت كلمة .. «أسكت» !

عندها كل شيء !

الزوج لزوجته (محتدا) : انا عندي شهادة جامعية ، ووظيفة محترمة ، وحساب كبير في البنك .. فماذا عندك ؟
الزوجة (في هدوء) : عندي .. أنت !

" اوكازيون "

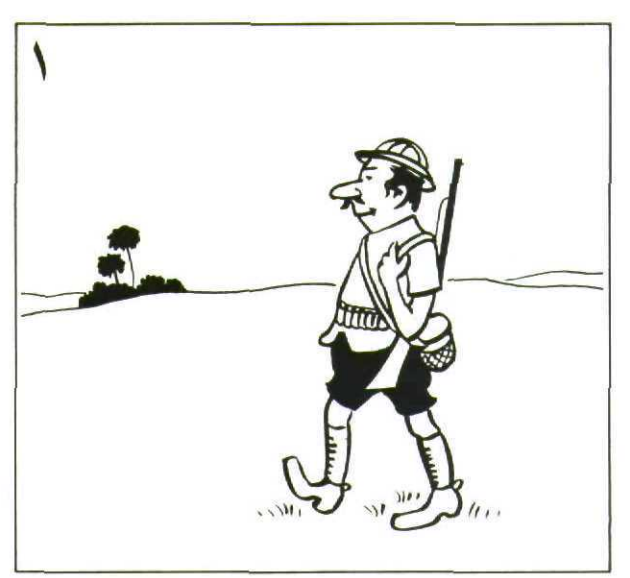
القاضي للمتهم بالسرقة قبل النطق بالحكم عليه : هل لديك الآن ما تقوله ؟
المتهم : نعم يا سيدي .. ارجو تخفيف العقوبة لأن «المحل» عندما سرقته ، كان عامل «أوكازيون» !

الجهات المختصة

كان الضابط ينصح جنوده بالطاعة التامة فسأل احدهم : هل عندك اولاد ؟
الجندي : نعم يا سيدي .
الضابط : وماذا تفعل بهم عندما يعصون اوامرك ؟
الجندي : أحيلهم الى .. والدتهم !

يحتاج الى الهدوء

الطبيب لزوجة المريض : زوجك متعب نفسيا يحتاج الى الهدوء التام ، فعليك بهذه الأقراص المنومة .
الزوجة : ومتى اعطيها له ..؟
الطبيب : هذه الأقراص لك انت يا سيدتي !











«صياد ماهر»



على شاطئ البحر الأحمر في جدة